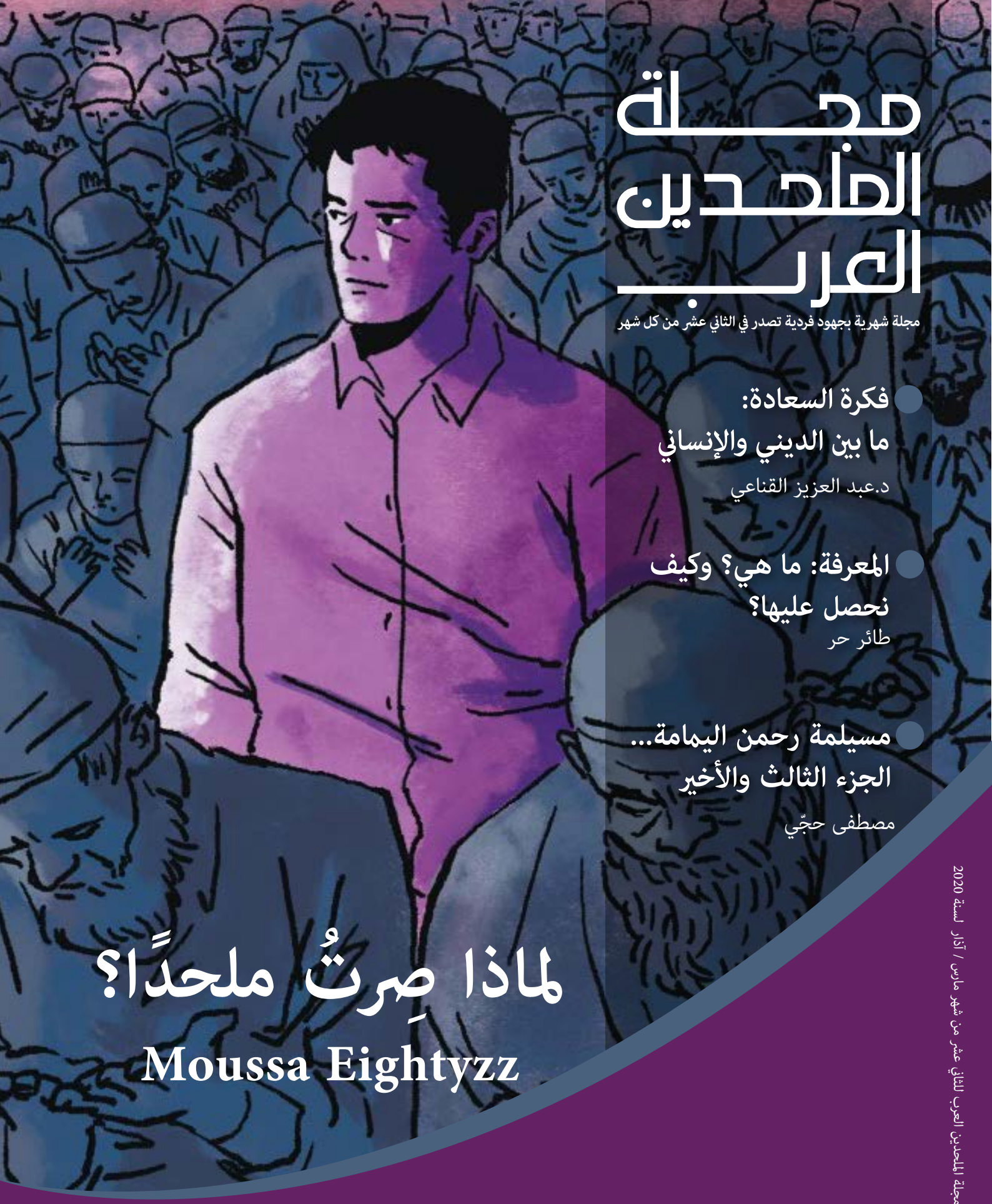

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

فكرة السعادة: ما بين الديني والإنساني

د.عبد العزيز القناعي

المعرفة: ما هي؟ وكيف نحصل عليها؟

طائر حر

مسيلمة رحمن اليمامة... الجزء الثالث والأخير

مصطفى حجّي

لماذا صِرتُ ملحدًا؟

Moussa Eightyzz

العدد الثامن والثمانون من مجلة الملحدين العرب للثاني عشر من شهر مارس / آذار لسنة 2020

تهدف مجلّة الملحدين العرب إلى نشر وتوثيق أفكار الملحدين العرب المتنوعة وبحريّةٍ كاملة، وهي مجلّةٌ رقميةٌ غير ربحيَّة، مبنيةٌ بجهودٍ طوعيةٍ لا تتبع أيَّ توجهٍ سياسي. المعلومات والمواضيع المنشورة في المجلّة تمثل آراء كاتبيها فقط، وهي مسؤليّتهم من الناحية الأدبيّة ومن ناحية حقوق النشر وحفظ الملكيّة الفكريّة.

كلمة تحرير المجلة

يُطل علينا شهرٌ جديدٌ محمّلٌ بالقلق والمصائب والتحديات، ويبدو أن عام 2020م قد شدّ العزم وقرر بجديةٍ أن يجعل البشرية جمعاء تعيش حالةً من التخبط والذعر، ولا يخفى على أحدٍ أن هذه الصعوبات والمشاكل والمخاطر عندما تثمر في أرضٍ خصبةٍ من وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة الغارقة في ردود الأفعال العاطفية غير الناضجة والتي لا تعير أي قيمةٍ للحقائق.

ومن جهةٍ أخرى، فإن الإعلام الكلاسيكي اليائس العطِش لأي اهتمامٍ ومتابعة أي مشكلةٍ وإن كانت محتملةً، يحوّلها حينها إلى كارثةٍ طبيعيةٍ مهولة، ومن السهل جدًا أن يقودنا هذا جميعًا إلى قعر اليأس أو يرمي بنا إلى أمواج الذعر وعدم الاستقرار؛ ولكن ما ننساه هو أننا كبشرٍ بطبعنا نتأثر أكثر بالأفكار السلبية مقارنةً بالأفكار الإيجابية. ذلك محفورٌ في غريزتنا التي تطورت عبر ملايين السنين لتعطي أهميةً وأولويةً للمشاعر التي تساعدنا على البقاء مقابل المشاعر الإيجابية التي قد تودي بحياتنا، وكما يقول المثل أن الخبر السيء يسافر أسرع من الخبر السار. ما أحاول قوله هو أننا يجب ألّا نفقد قدرتنا على وضع الأمور في نصابها وحجمها الصحيحين وأن يكون لنا منظورٌ متوازنٌ لما يحدث وإن بدا أن الجميع غارقٌ في هذه المعمعة والفوضى والذعر.

من واجبنا كأفرادٍ نتمتع - أو نطمح أن نتمتع - بوعيٍّ وعلمٍ وإدراكٍ لقيمة الحقائق أن نحافظ على التوازن في مجتمعنا وأن نكون قوةً تسهم في الثبات لا المزيد من الضياع، وأن نواجه سيول الشائعات المُضرة لنا ولمن حولنا بالحقائق والدعم الإيجابي وتثبيت الأقدام بدل سحب السجادة من تحتها.

إذا ما سمعت من يتكلم عن مؤامرةٍ كونيةٍ حاوِل أن تُقدّم بعض الحقائق التي تصحّح الأفكار الخاطئة. وإذا سمعتَ من ينشر معلوماتٍ خاطئةً عن هذا المرض أو ذاك الفيروس قدِّم لهم المعلومات الصحيحة لكي تحد من الذعر. حاوِلوا أن تكونوا ذالك العامل الإيجابي في دائرتكم الصغيرة ومجتمعكم الأعم.

واجِهوا الذعر وردّات الفعل العاطفية فيكم قبل أن تواجهوها في مَن حولكم ممن تحبّون وتكرهون أن تحملهم أمواج الفوضى والمعلومات الخاطئة، حاولوا أن تكونوا أنتم المرساة التي تحافظ على المركب من الغرق في هذه العاصفة. فجميعنا على هذا القارب... والمرساة في السفينة الغارقة تغرق مع السفينة أيضًا.

الغراب الحكيم

فريق التحرير
المشارك في هذا العدد

رئيس التحرير

الغراب الحكيم

أعضاء هيئة التحرير وبناء المجلة

John Silver

أسامة البني (الوراق)

Alia'a Damascéne

غيث جابري

Abdu Alsafrani

Raghed Rustom

Johnny Adams

ليث رواندي

Rama Salih

إيهاب فؤاد

Yonan Martotte

RoRo Evil Girl

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي

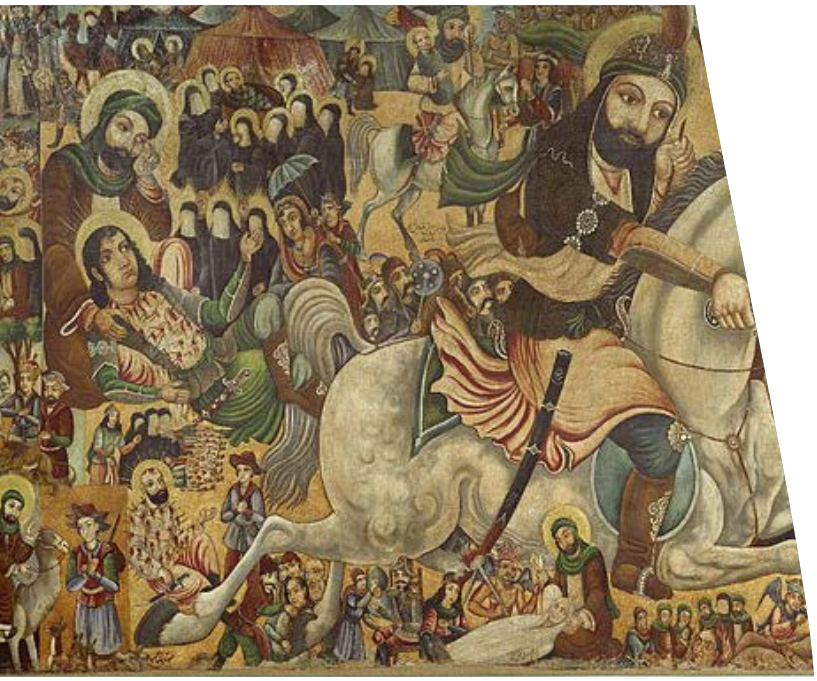

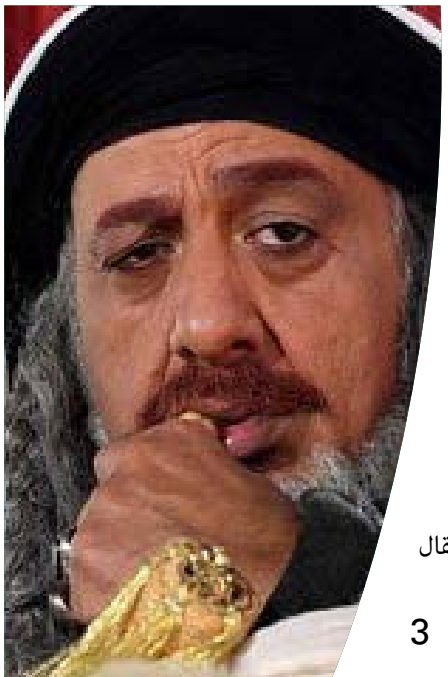

الفهرس

كلمة تحرير المجلة 2

الفهرس 3

فكرة السعادة ما بين الديني والإنساني 4
د. عبد العزيز القناعي

المعرفة: ما هي؟ وكيف نحصل عليها؟ 9
طائر حر

مقالٌ في الدِين 14
Yusuf Askar

لماذا صِرتُ ملحدًا؟ 21
Moussa Eightyzz

على مقهى الآلهة 36
وليد

مسيلمة رحمن اليمامة... 52
وما أدراك ما الرحمن! جـ 3
مصطفى حجّي

كاريكاتور 62

ملاحظة: عناوين المقالات هي روابط، انقروا عليها لتأخذكم مباشرةً إلى المقال

د.عبد العزيز القناعي

فكرة السعادة ما بين الديني والإنساني

حدد الإسلام شروط البهجة والفرح والسرور والسعادة في محدداتٍ فقهيةٍ ومحرماتٍ دائمةٍ وتنبيهاتٍ مستمرة، الغرض منها حبس المسلم ضمن أشكالٍ محددةٍ من السعادة، وأيضًا للحفاظ على الإطار العام للعلاقات الجنسية أو العلاقات ما بين الرجال والنساء أو في الإطار العام للمجتمع ومؤسساته بما يتعلق بالسلوك والأفكار والتعابير الفنية والأخلاقية والسلوكية، سواءٌ في الأماكن العامة أو الخاصة.

فالقرآن المقدس لدى العرب والمسلمين حدد أنواع الفرح بثلاثٍ بحسب موقع بصائر على الإنترنت.

الأول: فرحٌ محمود:

ويتعلق بالفرح لتحصيل أمرٍ دينيٍّ ينفع المسلم في دنياه وآخرته ومنه:

* أن نفرح بهدايتنا للإسلام، الدين الخاتم واتّباعنا للرسول محمدٍ صلّى الله عليه وسلم، وأن الله تعالى أنقذنا بذلك من النار: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس:58).

* الفرح بنصر الله تعالى للمؤمنين، وهزيمة أعداء الدين وتحقيق التمكين لدين الله في الأرض: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الروم: 4-5)، وهو معنًى عزيزٌ على نفس المؤمن الصادق، لأنه في شوقٍ حقيقيٍّ لهذا النصر. وأما المنافق فيُظهر الفرح بانتصار أعداء الإسلام أو بهزيمة المؤمنين والتضييق على الدعاة العاملين.

* الفرح المتوازن وهو خيرٌ لصاحبه، كما أنه أبعد عن إثارة الحسد والغيظ عند الآخرين ممن لم يحصل على ما حصلت عليه.

الثاني: فرحٌ مذموم:

وفي الإجمال هو فرحٌ بما يُغضب الله أو بما يضر صاحبه خاصةً في الآخرة ومنه: * الفرح بالمال الذي يؤدي بصاحبه إلى الطغيان والإعراض عن ذكر الله مثل قارون: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص: 76).

* الفرح بالمعصية كمن يفاخر بالزنا ويحدّث بما فعله.

والنوع الثالث:

هو الفرح المباح وهو الفرح الذي يلازمنا عند تحصيل أمرٍ محببٍ إلى نفوسنا أو تحقيقَ إنجازٍ سعينا إليه في أي أمرٍ من أمور الدنيا، ومنه ما ورد في حديث الرجل الذي وجد دابته بعد أن أضاعها:

«لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» (رواه البخاري).

وبهذا المستوى، قد يزيد قليلًا في التحريم وقد يتناقص أيضًا ولكن بحسب هيمنة المؤسسات الدينية ورجال الدين على المجتمع، نرى أن الفرح والسعادة بالمفهوم الإسلامي متعارضٌ تمامًا مع طاقة الإنسان ومشاعره التي تُظهر السعادة في أشكالٍ مختلفةٍ وغريبةٍ وحتى غير متوقعةٍ يكون فيها الإنسان حرًا ومتوافقًا مع ذاته وعاطفته ومسؤوليته.

بينما تخضع ثقافة الفرح والسعادة في غالبية مجتمعاتنا تحت أطرٍ وقوانين يمكن إجمالها بالثوابت والتابوهات المحرمة منذ قديم الزمان، وهي الجنس والدين والسياسة.

فتاريخ مجتمعاتنا العربية غارقٌ بالبؤس والحرمان والتطرف الناتج عن الكبت والقمع والاستبداد، فقد امتلأ بالتحرشات الجنسية والاغتصابات وزنا المحارم والبيدوفيليا وعلاقات السر والخفاء على طول الوطن العربي وعرضه.

وهنا لا ندعو بالتأكيد إلى فوضًى جنسيةٍ بمقابل الكبت العام أو مخالفة قوانين مجتمعاتنا، ولكن بالتأكيد ندعو إلى إعادة النظر في مفاهيم السعادة والعلاقات العاطفية وإعطاء الرجل والمرأة الحق في الحرية الفردية في وضح النهار بدلًا من التخفّي تحت أستار الليل والخوف من الفضيحة ومباحث الآداب ومقصلة الوعي الجمعي المثقل بالوصاية والعقاب الشديد لكل من يخرج عن نطاق العيب والحرام.

فهل الفرح المحدد بشكلٍ دينيٍّ يكفي الإنسان في العصر الحديث أن يعيش حياته باستقرارٍ طبيعيٍّ ونفسيٍّ وعاطفيٍّ لأنه مؤمنٌ فقط أو لأنه يؤدّي الطقوس الدينية أو يهدي فردًا آخر إلى الإسلام؟!! خصوصًا أن الفرح المباح لا يذكر قيمة السعادة العاطفية وإنما يُرجعها إلى أشكالٍ تقليديةٍ لم تعد تدخل ضمن مفهوم السعادة بالشكل الإنساني الحديث مثل أعمال الخير المحددة أصلًا للجماعة الدينية،

سابيكا خان

أو يُرجعها إلى السكن الزوجي لتفريغ الطاقة الجنسية وفق ضوابط وتقاليد غالبًا ما تكون قمعيةً ولا إراديةً، بل في بعض الدول لا يكون للمرأة الحق في الرفض أو الاختيار لأنها في النهاية ووفق المنظور الفقهي عورةٌ وناقصة عقلٍ ولا يجب أن يكون لها السلطة والإرادة والسعادة الجنسية والارتباط بمن تحب وتقبل به، ناهيك عن الارتباط ما قبل الزواج الذي يعتبر من أشد الكبائر والمحرمات لدى الحكومات العربية والفقهاء.

ورغم أن الدين لا يمكن أن يقلل أو يحبط العلاقات الجنسية تحت أي مسمًى وفي أي مكانٍ نظرًا لارتباط الجنس كغريزةٍ فطريةٍ بتكوين الإنسان نفسه.

فهذه الشابة الباكستانية (سابيكا خان) التي هزت مواقع التواصل الاجتماعي بعد اعترافها عن تعرضها للتحرش الجنسي وهي في مكة أثناء قيامها بمناسك الحج قد أكدت أن الجنس غريزةٌ لا يمكن قمعها حتى في أشد الأماكن قداسةً.

كما ونشرت محطة بي بي سي البريطانية على موقعها العربي تقريرًا حول تحرشاتٍ جنسيةٍ وقعت في موسم الحج حصلت مع فتاةٍ تدعى (آنجي أنجوني) وأختها حول تعرّضهما للتحرش بموسم الحج في عام 2010.

بالإضافة إلى ما ذكرته صحيفة الديلي ميل في فبراير 2018 كمقالٍ للسيدة سارة مالْم (Sara Malm) عن قصصٍ لنساءٍ مسلماتٍ من شتى أنحاء العالم تعرّضن للتحرش الجنسي في مكة داخل الحرم أثناء الطواف.

إن السعادة والفرح والبهجة، جميعها صورٌ إنسانيةٌ بإمكانها خلق التواصل والتعايش والحب، فيمكنك أن تعشق من ابتسامةٍ وأن تستلهم فكرةً أو قصيدةً أو لحظة غرامٍ من حالة فرحٍ وانسجام، وبإمكانك أن تخفف الألم وتضمد الجراح العاطفية بابتسامةٍ وحضنٍ وقبلة.

وبإمكانك أن تقلل خسائر الحروب والكوارث بالوقوف مع المصابين ودعمهم عاطفيًا وإنسانيًا.
علينا اليوم أن نفهم أن مفهوم السعادة لا يجب حصره بإرثٍ دينيٍّ أو فقهيٍّ قد انتهى مع زمانه ولم يعد قادرًا على تقديم السعادة الحقيقية للإنسان في مجتمعاتنا العربية والإسلامية. فالسعادة بنظر إفلاطون

«يجب أن تقوم على نوعٍ معينٍ من التناغم والانسجام بين الرغبات والأهداف في حالة تعددها»،

ويعد إفلاطون السعادة هي الخير الأسمى. بينما في كتاب الأخلاق لسبينوزا يقول بأن السعادة

«هي الغبطة التي ندركها حينما نتحرر من عبودية الأهواء ومن الخرافات والأحكام المسبقة».

فالسعادة هي شعورٌ ممكنٌ دائمًا وغير محصورٍ بفتوًى أو عصا الشرطي أو قانونٍ للدولة.
السعادة لا تكمن في الطعام والشراب والجنس فقط، بل هي بهجة الحياة حينما نرى الوجود الكوني والإنساني ينساب بين أحلامنا وضحكاتنا، وحينما نسعد مع سعادة الآخرين وأفراحهم،
وحينما نحظى بحضنٍ دافئٍ ينسينا آلام اليوم والعمل،
وحينما نقدم المساعدة من أجل مسح الدموع وتعليم البنات ومنع الأذى عن الأطفال،
وحينما نسعد بكل تغييرٍ نفعله في العقول والنفوس والأفكار.

أحاديث رجل الكهف
The Caveman Talks
قناة «أحاديث رجل الكهف» على اليوتيوب تهدف إلى مساعدة الشباب الناطق بالعربية، التائه في بحرٍ من الثقافة الاستهلاكية على بناء عقليةٍ نقديةٍ مثقفة عقلانيةٍ مستقلة، ومحاولة تبسيط العلوم والبحث في مختلف أنساق المعرفة الإنسانية.
عسى أن يكون هذا الجهد بمثابة إنارة شمعةٍ في ظلمات الجهل الثقافي الذي يعيش فيه الشارع الناطق بالعربية
YouTube

مجلة توثيقية علمية إلحادية

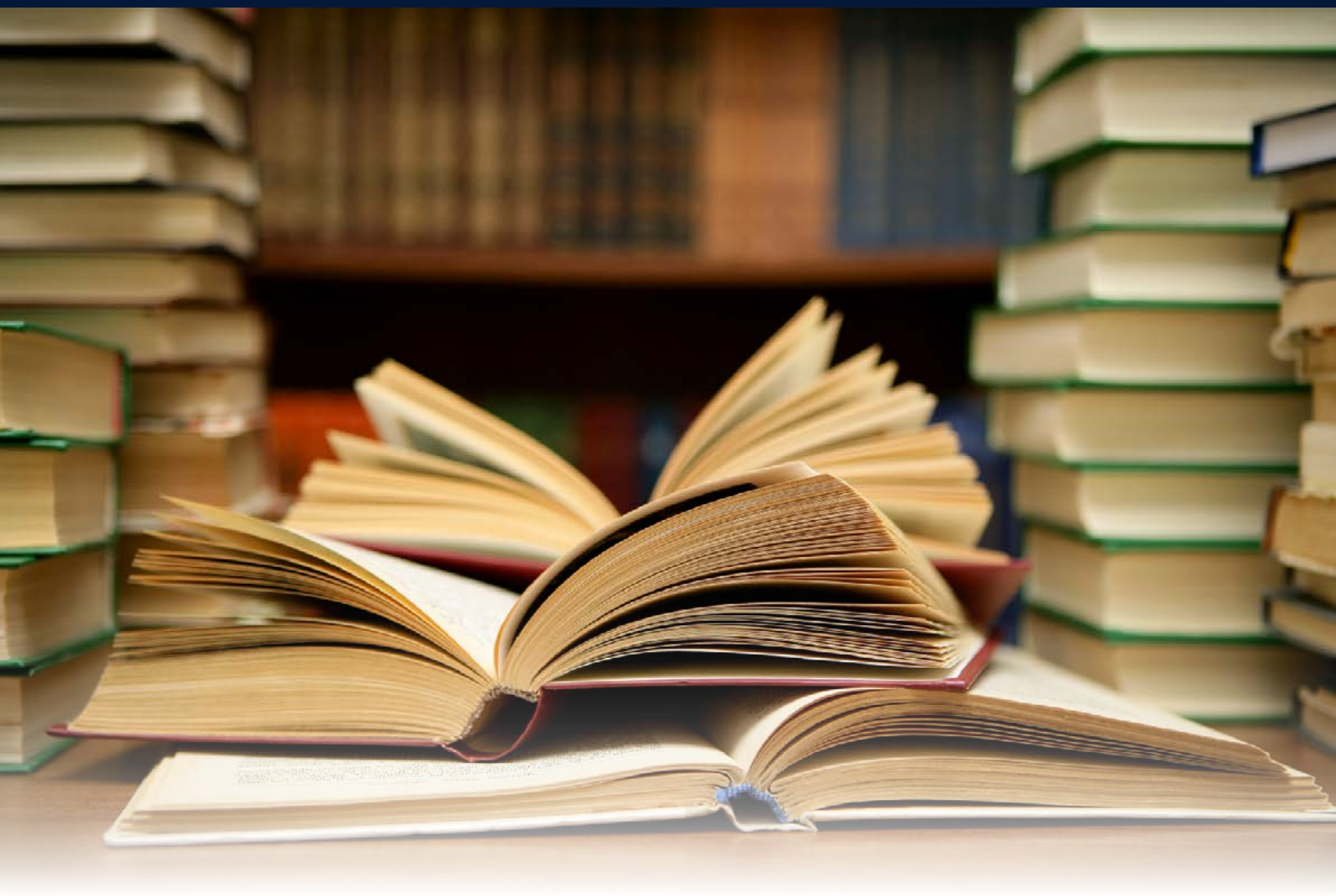

شاركنا موضوعاتك و كتاباتك لتصل للقراء

هدفنا توثيق الكتابات و التوعية و نشر الفكر المتحضر

موضوعاتنا علمية ، دينية ، ثقافية

مجلة الملحدين العرب

معاً نحو مستقبل منير

http://arabatheistbroadcasting.com/aamagazine

https://www.aamagazine.blogspot.com

https://www.facebook.com/pages/AAMagazine/498136386890299

https://issuu.com/928738

المعرفة: ما هي؟ وكيف نحصل عليها؟

طائر حر

هذه نقطة خلافٍ واضحةٌ بشكلٍ عامٍّ بين المؤمنين بالأديان وغير المؤمنين بها.

لست في موقف دفاعٍ ها هنا عن طرفٍ ضد طرف، ولكنه نقدٌ للتطرف في كلا الاتجاهين.

فبالفعل يُصر بعض الملحدين على أننا نولد بعقلٍ فارغٍ تمامًا يتعلم كل شيءٍ من الخارج بعد الميلاد، ولا ينبغي لنا أن نصدّق ونعتقد إلا فيما تراه أعيننا وتلمسه أيدينا بشكلٍ مباشر.

المعرفة: ما هي؟ وكيف نحصل عليها؟

طائر حر

بينما يقول الكثير من المتدينين بحصيلةٍ معرفيةٍ ضخمةٍ نولد بها يسمّونها أحيانًا «الفطرة»، تعلو في أهميتها وصدقها ما نلمسه من واقع، بالإضافة إلى مصادر أخرى صادقةٍ غير ملموسةٍ للمعرفة يسمّونها الحدس والبديهة والإلهام.

أولًا، جزءٌ كبيرٌ من الخلاف ينحصر في تعريف الكلمة: المعرفة.

للأسف لن تفيدنا المعاجم والقواميس كثيرًا في حل هذا الخلاف لأنه حتى في حال الاتفاق على تعريفٍ محددٍ للمعرفة يمكن ببساطةٍ أن يضيف إليه أي شخصٍ ويحذف منه ويعدل فيه ثم يدعوه بكلمةٍ أخرى ومن ثم يجادل بناءً على مفهومه الجديد. غير أن معاني الكلمات والمقصود بها ليس بالتعريف القاموسي ولكنه بالمنتشر بين الناس. وبما أن الناس على خلافٍ فيما تعنيه حقًّا الكلمة، فيبدو أن الحكم انطلاقًا من تعريفٍ صارمٍ محدد، طريقٌ مسدود. لذلك يلزم مراعاة مرونة المفهوم والأخذ في الاعتبار الاحتمالات المتعددة لما يمكن أن يشمله ويقصيه.

ثانيًا، بعد تجاوز نقطة التعريف، وبناءً على ما هو متوفرٌ من معلومات، فإذا كانت المعرفة تشمل المهارات العقلية فبالتأكيد نحن نولد بشيءٍ من ذلك، لهذا لا يصدق القول بأننا نولد بحصيلةٍ معرفيةٍ صفرية. ولكن هل المهارات العقلية يمكن أن تمدنا بمعلوماتٍ محددةٍ واضحةٍ عن العالم،
أم أنها مجرد استعدادٍ لتلقّي المعلومات الخارجية وفهمها واستيعابها؟

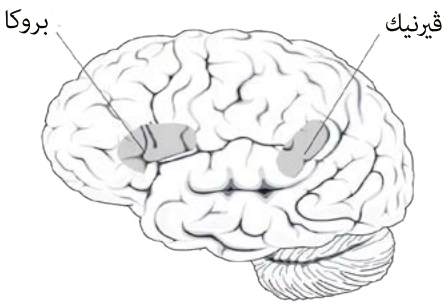

المقدمة منظر جانبي من اليسار المؤخرة

مثالٌ أراه ملائمًا جدًّا هو اللغة. حسب المثبت من العلم الطبيعي أنه توجد مناطق من الدماغ مسؤولةٌ عن تسهيل تعلمنا للّغات الطبيعية واستخدامها اليومي مثل منطقتي بروكا Broca وفيرنيك Wernicke، فالمصابون بعطبٍ أو خللٍ في هاتين المنطقتين تتأثر بالسلب قدرتهم على فهم التراكيب اللغوية وإنتاجها. ولكن هل هذا يعني أننا نولد متعلمين للّغات؟

الواقع يقول بغير ذلك ولكن ليس بشكلٍ حاسم. فصحيحٌ أن جميع مفردات اللغة نكتسبها بالتعلم ولذلك مع الاختلاف الجذري لمفردات لغةٍ ما عن أخرى، تتطلب كل لغةٍ تعلم مفرداتها الخاصة ليفهمها الإنسان ويستطيع التواصل بها. ولكن على الجانب الآخر تشير الكثير من الدراسات إلى أن التراكيب اللغوية وقواعدها النحوية تتشابه في جميع اللغات الطبيعية أو معظمها كأنها ترث أنماطًا محددةً مع نشأتها المستقلة تاريخيًّا. والتفسير الأكثر رجحانًا لهذا هو أن الأدمغة التي أنتجت هذه اللغات «أدمغة البشر» مصممةٌ لتتعامل مع هذه الأنماط المحددة بشكلٍ خاص.

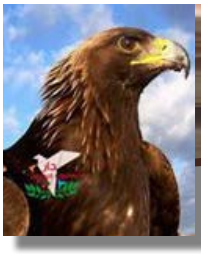

طائر حر

المعرفة: ما هي؟ وكيف نحصل عليها؟

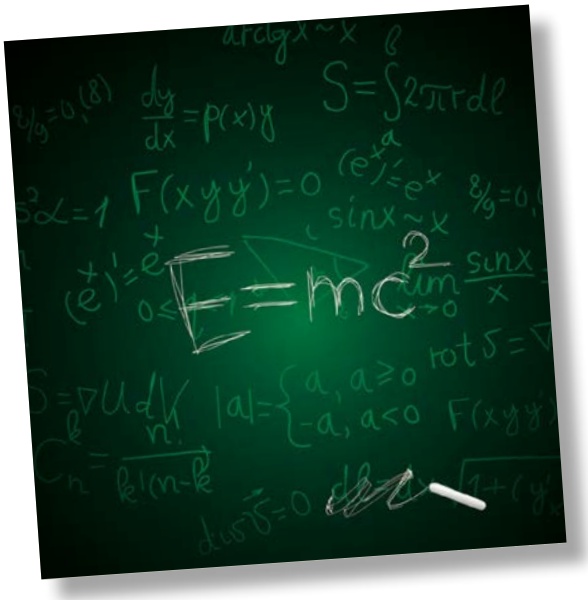

هذا المثال يطرح الكثير من الأسئلة، من أهمها لأجل غايتنا: هل معنى أن دماغ الإنسان مهيأٌ لتكوين واستيعاب أنماطٍ لغويةٍ بعينها دون الباقي من العدد اللانهائي لما يمكن أن يوجَد من أنماطٍ تستطيع كائناتٌ اجتماعيةٌ استخدامها للتواصل، إن هذه الأنماط مميزةٌ طبيعيًّا بشكلٍ خاصٍّ كأن تتبع أنساقًا رياضيةً مثاليةً مثلًا، فيوجد بذلك ما يمكن تسميته «معرفةٌ لغويةٌ فطرية» ترقى لتكون معرفةً مجردةً مرتبطةً بقواعد الرياضيات والمنطق؟ إلى هنا وتعجز حصيلتي المعرفية عن الإجابة على هذا السؤال، لكن لا أرى شيئًا يدعونا إلى رفض هذا بالكلية أو التشبث به.

وبهذا نصل إلى الباعث الرئيسي لنبذ التطرف في هذا الشأن وهو أننا ما زلنا لا نعلم يقينًا بشكلٍ واضحٍ حجم ونوعية ما نولد به من قدراتٍ وملكاتٍ ومهاراتٍ عقليةٍ يمكن أن تقع تحت تعريف المعرفة.

وأما إذا كانت المعرفة هي المعلومات الصريحة وليست الضمنية وبهذا لا تشمل المهارات العقلية الطبيعية، فإن الجدل يكاد يكون محسومًا. فمعرفة الطفل لكيفية الرضاعة ومعرفة أسماك القرش المولودة حديثًا لكيفية السباحة دون تَعَلُّمٍ لا تعني إلمامهم بماهية أي شيءٍ عن العالم الخارجي وإنما الأمر نزعاتٌ سلوكيةٌ مبرمجةٌ مسبقًا دون معرفةٍ حقيقية، والأمر ينطبق أيضًا على مثال اللغة.

ثالثًا وهو الأهم، ما هو المنهاج الذي ينبغي علينا أن نتبعه لتحصيل المعرفة الصادقة؟ صحيحٌ أن البديهة والحدس وما يشابههما من مفاهيم يمكن أن تؤدي إلى معرفةٍ صادقة، ولكنها أيضًا يمكن أن تؤدي إلى أوهام. فمثلًا استخدم قدماء الفلاسفة في اليونان حدسهم وبديهيتهم في تحديد العناصر المادية الأساسية في الطبيعة، وبعد التناوب بين الانتصار للماء كمكونٍ أوليٍّ لكل شيءٍ وتارةٍ أخرى الهواء، استقروا، أو كادوا، على أن كل الموجودات المادية تتكون من خليطٍ من أربعة عناصر أساسيةٍ هي العناصر الأصلية في الطبيعة: الماء، والهواء، والتراب، والنار.

وهذه النظرية «إن جاز لنا أن نسمّيها نظرية» انتشرت وشاعت عبر التاريخ والجغرافيا إلى يومنا هذا. وكما نعرف جميعًا الآن أن الجدول الدوري الذي يضم ما يربو على المائة عنصرٍ أو يزيد، يمثل العناصر المادية الأساسية للموجودات الطبيعية (من وجهة نظر الفيزياء الكلاسيكية)، واتضح أن الماء هو مركبٌ من عنصرين هما الأكسجين والهيدروجين وأن الهواء هو كلمةٌ عامةٌ يمكن أن تُعبّر عن مدًى واسعٍ من عدة أخلاطٍ من العناصر والجزيئات الغازية وأن التراب أيضًا كذلك، وأن النار ليست بعنصرٍ ولكنها تفاعلٌ كيميائي.

طائر حر

لهذا، فمع الإقرار بجهلنا بعقولنا وأدمغتنا وآليات عملها تفصيلًا، خاصةً على المستوى الباطن الذي لا نعيه والذي يمثل أضعاف أضعاف أضعاف ما يمكن أن نعيه بالاستبطان، ومع الإقرار أيضًا بوجود الحدس الذي يمثل وجهُهُ النموذجي من وجهة نظري الحدسَ الرياضي (وأضمن لك عزيزي القارئ الكثير من المتعة في البحث في هذا)، إلا أن المعرفة لكي تكون صادقةً أكيدةً، تحتاج لعنصرٍ واحدٍ لا ينبغي أن يجادل في أهميته إلا المجانين وهو: «الدليل».
والحدس في حد ذاته لا يُعدّ دليلًا بالطبع وإلا لما احتاجت الحدسيات الرياضية إلى براهين.

أما البديهة، فتُعبّر في شكلها البسيط عن آلياتٍ لاستنباط حقائق جديدةٍ من معلوماتٍ معروفةٍ مسبقًا بالفعل، وبهذا فإنَّ صِدق نتائج البديهة يعتمد بشكلٍ مباشرٍ على مصادر المعلومات الأولية ومدى صدقها.

قد يكون رأيي الأخير هذا في البديهة خاطئًا، ولكن حسب ما أرى لا يجوز أن يصرّح شخصٌ ما بأنني «أعلم أن الله موجودٌ بالبديهة» ويسكت.

فهذه سفسطةٌ فارغة، وإلا لصارت البديهة مرادفًا للمشاعر الشخصية، والاستدلال بالمشاعر الشخصية هو أكثر أنواع الاستدلال جدارةً بالشفقة والرثاء.

من نحن؟
نحن مجموعه من مسلمين سابقين ومسلمين بدرجات متفاوته من التدين.
ماذا نريد؟
نريد أن نجد الحقيقة، مهما كانت، و أن نحارب من أجل حقنا في اتباعها،
نريد أن نخلق مكانا آمنًا للناس ليتبادلوا فيه الأفكار التي تعلمنا ألا نتحدث عنها،
نريد أن نساند بعضنا ونساعد بعضنا على مواجهة أسئلة الأهل والمجتمع، وتكوين إجابات لها،
نريد أن نعطي اللادينيين (سواء ملحدين، ربوبيين أو غيرهم) في البلاد الإسلامية صوتًا لأنهم سيقتلون إذا علت أصواتهم.

muslimish | مسلمش
www.muslimish.com

https://www.facebook.com/groups/arbangroup/

مقالٌ في الدِين

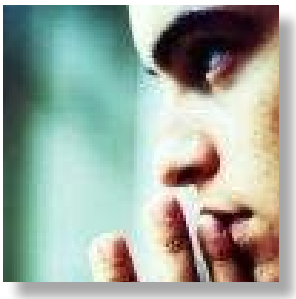

Yusuf Askar

مقدمة:
ليس الدين محض صدفة، ولا هو مسألةٌ طارئةٌ في حياتنا، ولا حدثٌ عابرٌ يتعلق بتجربةٍ بشريةٍ عابرةٍ في رحلةٍ ما من تاريخنا في هذا العالم، إنه وليدُ العقلِ الإنسانيِ وصنيعته والمنتَج الطبيعي لبيئته.

قد بدأ بشكلٍ ما لدى الإنسان القديم متماهيًا معه في مدركاته وملاحَظاته للحياة والكون من حوله، حتى سيطرته عليه!

كانت مغامرةً منه، أي الإنسان السالف، محاولةٌ لفهم كيف تسير الأشياء حوله، ولتبديد فضوله وطرد مخاوفه، وتلبيةً لحاجاته وميوله وغرائزه، فتطور الدين بتطور العقل الإنساني ومر بتحولاته وقفزاته بدءًا من أشكالها الدنيا مرورًا بارتقائه السلّم الحضاري وحتى حداثته،

مقالٌ في الدِين

Yusuf Askar

فكان الرفيق الملازم للذهنية البشرية في غالب أفكارها وفلسفتها وحصيلتها المعرفية العتيدة، أما والحال هذه، والفكر والدين صنوان، فقد شغل حيزًا ومساحةً واسعةً من الجدالات العقلية والفلسفية و«الدينية الدينية» في ميادين المعترك النقاشي الإنساني.

بعضهم كان ثائرًا متمردًا متسائلًا، فاحصًا للدين ومُراجعًا، والبعض الآخر كان حافظًا ومُدافعًا معززًا له وخادمًا.

وهنا سوف لن أتناول الظاهرة الدينية من حيث الأصل والنشأة، والأسباب والتفاصيل التي شكّلت منطلقاتها الأولى وبواعثها، فهناك من أعطى هذا الجانب حقه بحثًا وفحصًا، إنما أحببت عرض الدين وبإيجازٍ كنمطٍ واتجاهٍ لمجموعةٍ من الأفراد المرتبطين برابطه والمتمسكين بعروة وثائقه، والسلوكيات الأخلاقية والآثار المترتبة عنها في حياة الفرد الإنساني والمجتمع ككل، وهذا العرض هو نقلٌ لأفكار من تطرق لهذه الزاوية شارحًا وفاحصًا وناقدًا، وبشيءٍ من التصرف،

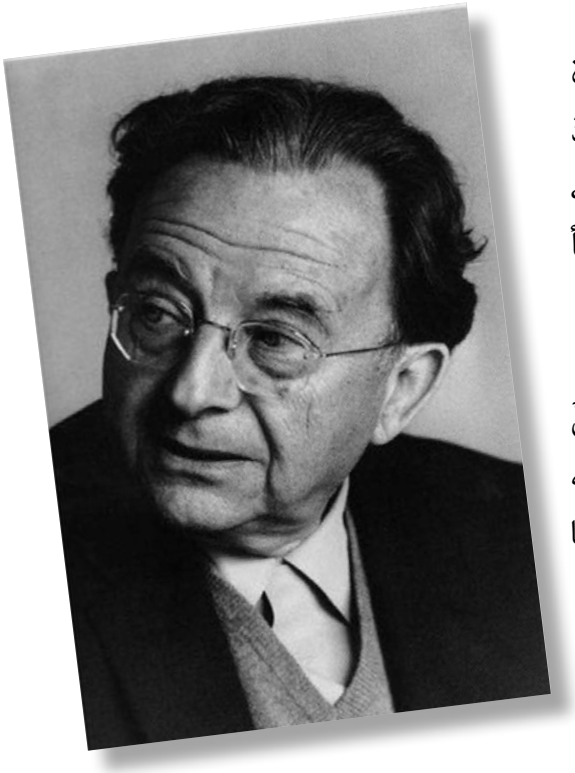

أنه الفيلسوف الألماني/الأمريكي آريك فروم، والذي قام بتأليف عدة كُتبٍ لعل من أهمها كتابه (التحليل النفسي والدين)، حيث استحوذ هذا الكتاب المهم على إعجاب الكثيرين لما فيه من ملامسةٍ لواقعنا، وتحليلٍ لحاضرنا وقراءةٍ لمستقبلنا، بأسلوبٍ سهلٍ ممتعٍ يشبع ظمأ العقل الحُر الساعي وبنهمٍ للمعرفة والفهم.

فقد قسم الكاتب الدين في سيرورته إلى قسمين: دينٌ إنساني ودينٌ تسلّطي، وهو بدوره يصف كلًا منهما بصفته وفعاليته لا من توجّهه الشخصي وميله لأحدهما على الآخر، وللقارئ الحُر المجال للتفكر بها إذ هي حوله لا تزال قائمةً وفاعلةً حتى اللحظة، ولهذا اقتضى التنويه!

الدين الإنساني:

هو دينٌ يتمحور في جوهر فكره عن الإنسان وقوّته وقدرته على فهم نفسه، إضافةً لقدراته الذاتية على الفهم والتحصيل المعرفي وتبيّن الحقائق الحياتية من حوله، سعيٌ حثيثٌ نحو السمو والتعالي الروحي الإنساني من أجل بناء قواه الشخصية، وكينونته الخاصة به، هادفًا لجعل الإنسان يرى المحيط به بعين المحبة والاحترام، والرغبة بالتعايش السلمي بنمطٍ تكافليٍّ تضامنيٍّ مع الطبيعة وكافة مكوناتها وأشكالها الأخرى.

مقالٌ في الدِين

Yusuf Askar

الدين الإنساني يركّز على الإنسان نفسه، وترقية روحه وسمو آماله وتطلعاته، وسعادته الداخلية النابعة من عقله وقلبه. والإله فيه يرمز للقوة في الإنسان، للقدرات الروحية والمعرفية التي يتحصل عليها في حياته فتكون هي مصدر قوّته وانطلاقته في هذا العالم.

والأديان الإنسانية نرى ملامحها عبر ديانات المشرق الأقصى كمثل الديانة الطاوية والكونفشيوسية والبوذية، هذه الديانات التي تنشد استنارة الروح الإنسانية والسلام والطمأنينة مع النفس والناس والعالم.

الدين التسلّطي:

يقوم هذا الدين وبشكلٍ أساسيٍّ على مبدأ إخضاع الإنسان وإذلاله واستعباده وجعله يتقبل التبعية بكل أريحيةٍ ورِضا! تحت وطأة قوًى كونيةٍ ما أعلى منه، كائنٌ سماويٌّ خارقٌ للعادة وبشكلٍ خرافيٍّ متفوقٍ عليه وأكثر قوةً منه. هذا الدين يمارس دوره هذا بهدف خلق إنسانٍ مُذعنٍ وطائعٍ ومن ثم إرغامه جبراً على الخضوع التام لها وعدم معصيته. فتكون الفضيلة فيه الطاعة والاتّباع الأعمى له والانسياق خلفه والاستحواذ التام والكامل عليه واستلاب عقله وروحه وجسده وتطويعها له ليكون عبدًا لها، بدلًا عن الارتقاء والسمو في الحس والعقل الإنساني وروحه الحرة.

والخطيئة في هذا الدين تكون بمعصيته والتمرد عليه، أو حتى مجرد الشك بجدواه ورجاحته وعقلانيته وصلاحيته للإنسان والعقل البشري، ونتيجةً لهذا كله فقد أفرز الدين التسلّطي عددًا من العوامل النفسية الخطيرة التي قطعًا ستُلاحظون أثرها حولكم!

فالإنسان في الدين التسلطي وجد نفسه أمام فكرة الإله المُطلق الكُلّي والكامل، وهو أمامه لا شيء، قيمةٌ دُنيا لا تساوي جناح بعوضة! فاستصغر الإنسان قيمته أمامه، وتنامت دونيته حتى تملّكته عقدة النقص والعجز التام أمام هذا الدين وكائنه السماوي المُهيب!

الأمر الأخطر هنا أن هذا الإنسان المُهان في إنسانيته ما فتىء يوهم نفسه والناس من حوله أنه كائنٌ طبيعي جدًا وغير متوهم، وأنه عزيزٌ وقويٌ وسط كل عُقد النقص والمكانة المتدنية التي زرعها الدين التسلطي في نفسه!
فأدت الممارسة الإنسانية لهذا الدين إلى خلق وجهين له، وكلاهما أبشع من الآخر!

مقالٌ في الدِين

Yusuf Askar

الوجه الأول:

وجهٌ ماورائيٌ سماويٌ كالأديان التوحيدية.

الوجه الثاني:

وجهٌ أرضيٌ دنيوي، مثل تحول الدولة أو العرق أو الإيديولوجيا السياسية أو الحزب القائد للمجتمع والقائد الرمز المُلهم إلى درجة الألوهية المقدسة والمعبود الذي يسلّم له الإنسان كل شيء، تحت شعاراتٍ يتم بها حشو دماغه كالوطنية، فيكون مستعدًا للتضحية بكل شيءٍ في سبيل الوطن دون السؤال عن أسباب وخلفيات هذه التضحية وصحة موقفها وموقفه الشخصي منها، أو التساؤل عما سوف يحصد أثر هذه التضحية بالنهاية، وهذا ينسحب أيضًا على التعصب العرقي والقبلي والمذهبي والقومي التي يمكن أن ينساق خلالها الإنسان إلى مواقف لا يفهمها، وإلى موتٍ لا يشعر به! وكاستطرادٍ جانبي فموجة سُعار الوطنية المتفشية لدينا في دُولنا هي مثالٌ حيٌّ على هذا الوجه الدنيوي للأديان التسلطية، فقد استبدلنا نحن بالسعودية التشدد الديني والصلافة الصحوية بما يسمى بالفاشية الوطنية، فانتشر الشك والتخوين والمزايدة في محبة الوطن من خلال موقف الإنسان السعودي من الحُكم السعودي، وأصبح ولاؤك للأسرة الحاكمة مقياسًا لوطنيتك، وصمتك عن كيل التعظيم والمديح و«التطبيل» لها هو خيانةٌ وطنيةٌ تستحق السجن...

وممكن قياس هذا على الفكرة الاشتراكية/الشيوعية في بداياتها، كمثالٍ آخر، والتي كان الكثيرون مستعدين لبذل حياتهم من أجل إقامتها، هذان الوجهان، السماوي والدنيوي، ينبعان من نفس قواعد الدين التسلطي، وبنفس التأثير على حياة الإنسان وسلوكياته، عبر الحط من قَدر الإنسان الفرد العابد المطيع وسلب إرادته ليشعر بعجزه بتدبير أمور حياته وعالمه ونشر ثقافة التبعية والخنوع والقطعان المؤدلجة المخمورة المنتشية بعقائد دينيةٍ أو حزبيةٍ أو قوميةٍ وخلافه، وزرع الخوف الخارجي فيه وأهمية الجماعة له، ويصبح الدفاع عن الله أو الزعيم أو القائد أو الإيديولوجية في مفهوم هذا الإنسان أفضل العبادات، وتأتي قيمته الذاتية كإنسانٍ عبر إنكاره لهذه القيمة أمام الآلهة التي يعبدها إن كانت آلهةً سماويةً أو أرضيةً، أو القادة الذين يتبعهم.

هذا الدين/الأديان التسلطية هي المسؤولة عن زرع بذور التعصب والأحقاد والكراهية والتقوقع المتفشي حولنا، بسبب ادعاء كلٍّ منها للحقيقة المطلقة والموقف السليم واستحقاقه لأن يكون الجهة المُثلى لتدبير شؤون الحياة وقيادة العالم!

مقالٌ في الدِين

Yusuf Askar

في المقابل فالأديان الإنسانية تتحدث عن العقل الإنساني وقدراته بعيدًا عن أي قوًى سماويةٍ ماورائية، وأن الضمير الإنساني فيها هو صوت الإنساني الداخلي القادر على تصويب أعمالنا وسلوكياتنا الحياتية من منطلقٍ إنسانيٍّ بحتٍ لا خوفًا وتذللًا من صوت كائنٍ غيبيٍّ تسلطيٍّ ينتهج معنا مبدأ الثواب والعقاب والمكافأة الدنيوية والأخروية عبر نيل الجنة أو الخلود بالنار!

وإن أسوأ ما انتجته الأديان التسلطية هي فكرة الحياة ما بعد الموت، والتي حوّلت الإنسان لمجرد «كائن مُنتظِر» لهذا الحساب الأخروي، خانعٌ كسولٌ فاشلٌ يعيش للموت لا للحياة التي هي بدورها محطة عبورٍ واختبارٍ للعالم الآخر المتخيل في ذهنيته؛ وبِكلا الوجهين للدين، الإنساني والتسلطي، يكون جوهر الإيمان بها نابعًا عن رغبةٍ غريزيةٍ حيوانيةٍ للارتماء في حضن القطيع المؤمن، المعتقد الجمعي، للتماهي معها كنوعٍ من الاطمئنان النفسي، حتى لو كان هذا على حساب العقل والمنطق والمُثل الإنسانية العُليا.

يتكرر المشهد وبشكلٍ لافتٍ حتى لدى أولئك المدفوعين بالتساؤل والمملوئين بالشك، والذين وإن خرجوا عن دائرة الدين والتدين إلا أنهم سرعان ما ينخرطون في نظرياتٍ ومعتقداتٍ فلسفيةٍ واقتصاديةٍ واجتماعيةٍ بل ويضعون صورًا لأشخاص قادةٍ ومؤثرين لها كانوا ذات يومٍ فاعلين في حِقبةٍ حياتيةٍ ما في هذا العالم. إن هؤلاء في حقيقتهم، وليس كلهم، وبشكلٍ لا واعٍ هم نتاج ممارساتٍ تسلطيةٍ فُرضت عليهم وبقت أثارها فيهم حتى مرحلة التنوّر العقلي والخروج عن دائرة الدين السائد والموروث.

وبالختام، وإذ أننا نستعرض طيفًا من ملامح الأديان الإنسانية بشيءٍ من التقدير والإعجاب، إلا أننا لا نبشّر بها ولسنا دعاةً لها، ولا يعني هذا سلامتها وصحتها مقارنةً بالأديان التسلطية من حيث البداية والمضمون والمنشأ، ولا أؤمن شخصيًا بها، بل هي نتيجةٌ تحليليةٌ نلتمسها كما يمكن للقارئ أيضًا وبعقلٍ نزيهٍ رصدها بالمطالعة بها والقراءة عنها، كذلك فإن الدين بالمجمل هو عقيدةٌ نفسيةٌ متلازمةٌ لعقلنا الإنساني، فتتعدد صورها وتختلف أشكالها بغرض إشباع الجزء الميتافيزيقي فينا، وشغل المكان المضطرب في وعينا، فكُن حرًا...

اشترك الآن

YouTube

في قناتنا على اليوتيوب

https://www.youtube.com/c/ahmedzayedchannel

قرابة 10 مليون مشاهدة و70 ألف مشترك

أحمد سعد زايد

قناة أحمد سعد زايد على اليوتيوب هي قناة معنية بالتنوير الفكري والثقافي وهي محاولة للتفكير الموضوعي العقلاني معًا.

وتجدون فيها العديد من السلاسل ومنها:

- **ألف باء فلسفة لتبسيط المعرفة الفلسفية**
- **تاريخ الحضارة العربية الاسلامية**
- **سلسلة تعريفية برموز فكرية عربية وغربية كالمعري والرازي وأرسطو وماركس وراسل**
- **سلسلة بتحليل خلافات الصحابة وقتالهم**
- **سلسة تطور تاريخ الإيديولوجيات السياسية والفلسفات**

وغير ذلك كثير من محاضرات ومقابلات لرموز فكرية فالقناة بها أكثر من 700 محاضرة، وهي جهد طويل ومتواضع من العمل الثقافي ومحاولة نشر الوعي والعقلانية والعلمية قدر المستطاع للمتحدثين بالعربية.

للتواصل معنا على صفحة القناة على الفيسبوك:
https://www.facebook.com/aszayedtv

صفحة أحمد سعد زايد الشخصية:
https://www.facebook.com/ahmedsaadzayed

لدعم القناة: https://www.patreon.com/ahmedzayed https://www.paypal.me/ahmedsaadzayed/100

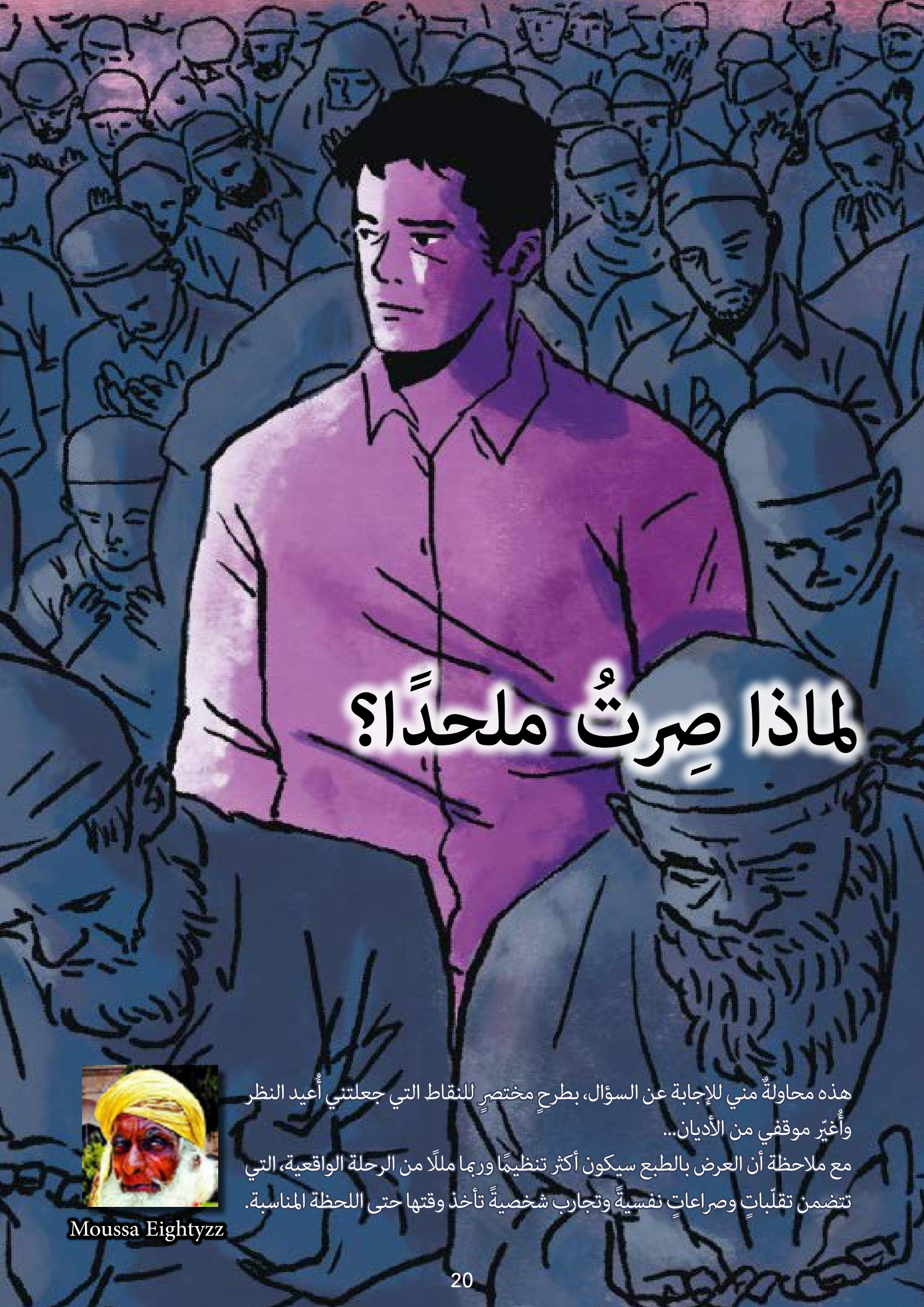

لماذا صِرتُ ملحدًا؟

Moussa Eightyzz

هذه محاولةٌ مني للإجابة عن السؤال، بطرحٍ مختصرٍ للنقاط التي جعلتني أُعيد النظر وأُغيّر موقفي من الأديان...

مع ملاحظة أن العرض بالطبع سيكون أكثر تنظيمًا وربما مللًا من الرحلة الواقعية، التي تتضمن تقلّباتٍ وصراعاتٍ نفسيةً وتجارب شخصيةً تأخذ وقتها حتى اللحظة المناسبة.

لماذا صِرت ملحدًا؟

Moussa Eightyzz

1. الأسئلة

تبدأ بطرح الأسئلة الوجودية الكبرى: كيف نشأ الكون؟ وكيف جئنا إلى الحياة؟ وماذا بعد الموت؟ وكيف ينبغي أن نعيش؟ وكيف نتيقن من أي حقيقة؟

2. الإجابة الدينية

أول إجاباتٍ عادةً نتلقاها من الدين الذي وُلدنا عليه: فالله هو من خلق الكون، كما خلق البشر لكي يعبدوه، أو لأنه يحبهم، وأمّا مصيرنا بعد الموت فيتوقف على مدى إيماننا بالإله وطاعتنا لتعاليمه في الحياة، والتي تُجسِّد الحق والعدل والخير، ممثلةً في النصوص المقدسة التي جاء بها الأنبياء، وهكذا تمت إجابة جميع الألغاز دفعةً واحدةً بتلك القصة اللطيفة.

3. الشكوك

لكنك قد تبدأ بطرح المزيد من التساؤلات حول ذلك السيناريو الديني ذاته: ما الله؟ ولماذا يحتاج الكامل إلى الخلق؟ وما سبب وجود الشرور والآلام؟ ولماذا الله يعاقب البعض بعذابٍ أبديٍّ فقط لأنهم لم يؤمنوا به؟ وكيف أعرف أن ديني هو الصحيح؟ وما الدليل على صحة القَصص الديني أصلًا؟ بالإضافة إلى وجود مشاكل عديدةٍ في النصوص المقدّسة على المستوى المنطقي والأخلاقي والعلمي وهي مشاكلُ يسعى أتباع الأديان للرد عليها، سواءٌ بالحجة أو بالتلاعب العاطفي على مشاعر الخوف والجهل والعجز الإنسانيين.

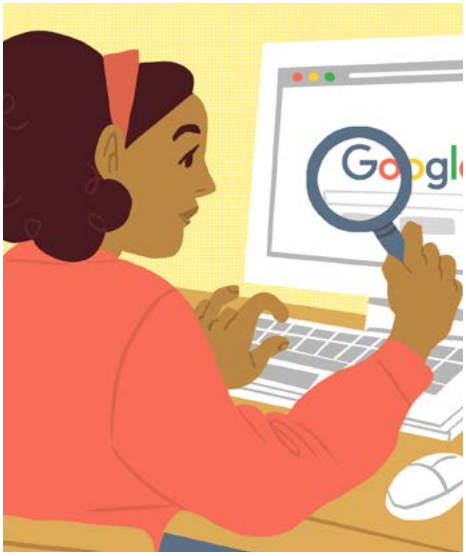

4. البدء من جديد

إن لم تُقنعك إجابات أهل الدين فهنا قد تحاول مخلصًا إزاحة الموروث والبدء من الصفر، ولكن هل نبدأ من الأسئلة الوجودية أم من الإجابات الدينية؟

لو بدأنا من الجانب الوجودي الغامض فقد نظل أسرى الإجابات الوحيدة المتاحة أمامنا، وهي الأديان، فيضطرنا العجز والجهل للاستسلام لهذا السيناريو المحفوظ والموروث، فربما إذًا يكون البديل الثاني أفضل: محاولة تقييم الإجابات الدينية أولًا، فلو كانت صحيحةً فليكن، ولو كانت غير ذلك نكون قد تخلّصنا من الإجابات الخاطئة، وبعد ذلك نحاول إعادة التفكير في المسائل الوجودية بِحرية.

Moussa Eightyzz

5. أديانٌ لا دين

يوجد على كوكبنا الآلاف من الأديان والمذاهب، تختلف حول كل شيءٍ تقريبًا، ويدّعي كلٌّ منها امتلاك الحق حصرًا وأنّ الأديان الأخرى زائفةٌ أو مُحرّفة، وبسبب تناقضها لا يمكن أن تكون كلها على حق، وهكذا نجد المؤمن بدينٍ معينٍ يعترف بأنّ البشر قاموا بصياغة آلاف الأديان (الأخرى) وكتبوا العديد من الكتب المقدسة (الأخرى) ممّا يستدعي سؤالًا: أليس هناك احتمالٌ أنّ دينك وكتابك أيضًا بشريّن مثل هؤلاء؟ وأنك مِثلهم اقتنعت به فقط بدافع الوراثة والشحن العاطفي وغسيل الدماغ؟

6. الأصل

لعلّ جميع الديانات لها أصلٌ مشتركٌ نابعٌ من طبيعة البشر: أحلامهم ومخاوفهم وأحوالهم الاجتماعية والسياسية، فمنذ القِدم يبدو أنّ الإنسان قدّس كل ما يؤثر فيه، مثل مظاهر الطبيعة(الإحيائية) التي حسبها شخصياتٍ ترضى وتغضب، ومثل الأجداد الذين حسبوا أنّ وجودهم سيستمر بشكلٍ روحانيٍّ بعد الموت، في الذكرى والأحلام (تقديس الأسلاف)، وهكذا صارت لكلِّ قبيلةٍ رموزٌ مقدّسة (طوطم) هم أجدادٌ عظماء تجسدوا في عنصرٍ طبيعيٍ أو حيوان، وهي الصورة الأولى للآلهة، كما ولّدت الطقوس البدائية والسحرية مثل الصلوات والقرابين التي يشرف عليها ساحر القبيلة كمحاولةٍ لاسترضاء تلك الأرواح.

7. الوثنية

من تلك العناصر البدائية (الإحيائية وعبادة الأسلاف والطواطم والسحر) جاءت المرحلة التالية وهي الوثنية، حيث نجد مئات الآلهة في مصر والعراق والهند واليونان وغيرها، في شكل أنصاف بشرٍ وحيواناتٍ وعناصر طبيعية، والأرجح أنها ترجع لأسماء ملوكٍ حكموا البلاد قديمًا، وكان لتلك لآلهة زوجاتٌ وأبناء، وكانوا يولَدون ويكبرون ويتصارعون ويموتون أحيانًا، وهكذا صار لكل مدينةٍ آلهتها وكهنتها ومعابدها وطقوسها، وحين اتّحدت تلك المدن صار إله العاصمة هو الإله الأهم، بينما صارت الآلهة الأخرى بمثابة مساعدين أو أعداء له، وتكفّل الكهنة (وهم خلفاء سحرة القبائل) بتأليف الأساطير، وهي حكاياتٌ مشوقةٌ تخدم تلك التراتبية وتبرر الطقوس.

8. التوحيد

في منطقة الشرق الأوسط توسّعت الدول لتصبح إمبراطورياتٍ مركزيةً، وكانت النتيجة أنّ مكانة الآلهة الثانوية للمدن استمرت في التراجع لصالح إله العاصمة الأكبر، حتى صارت مجرد تجلياتٍ له، وهكذا ظهرت نزعاتٌ توحيديةٌ في ظل إمبراطوريات مصر والعراق وفارس، حتى ظهور التوحيد الصارم في مشروعٍ إمبراطوريٍّ صغيرٍ لبعض القبائل الكنعانية*: اليهود، وأمّا في أماكن أخرى فقد ظهرت أفكارٌ مختلفة، مثل وحدة الوجود الهندوسية (الكون هو الله) أو حتى أفكارٌ

* أصل القبائل الإسرائيلة الأصلية مختلفٌ عليه، لكن إحدى النظريات تردّهم إلى الكنعانيين. راجعوا مثلًا:

Israel Finkelstein, Neil Asher Silberman, The Bible Unearthed, Simon and Schuster 2002, p. 104.

Moussa Eightyzz

تتجاهل الله تمامًا (مثلما في البوذية والجاينية الهنديتين، وفي الكونفوشية والطاوية الصينيين) أو القول بوجود إلهين، واحدٌ للخير (النور) والثاني للشر/ الظلام (مثل الديانات الثنوية في فارس).

9. اليهودية

في كنعان وجدَت العديد من القبائل والممالك والأديان والآلهة الوثنية، بعضها أصوله من مصر أو العراق؛ وفي مرحلةٍ ما بالقرن السابع ق.م، ولأسبابٍ سياسيةٍ ظهر تحالفٌ قبَليٌ طَموحٌ حول مدينة القدس، ممّا استلزم صياغة عقيدةٍ موحدةٍ تدعم ذلك الحِلف، فقام الكهنة بانتقاء عقائدَ وطقوسٍ وشرائعَ ورموزٍ مقدّسةٍ وقصصٍ محليةٍ متنوعةٍ تنتمي لتلك القبائل، وجمعوها معًا في كتابٍ مقدّس (التوراة) مع التركيز على إلهين محليين إيل ويهوه والذين تمّ دمجهما معًا ليصبحا إلهًا واحدًا، وهكذا وُلدت الديانة اليهودية، والتي تحمل عناصر مصرية (مثل التوحيد والختان وتحريم الخنزير) وعناصر عراقية (مثل قصص الخلق والطوفان والعطلة الأسبوعية)، ولاحقًا سوف تستمد عناصر أخرى من الفارسية (مثل الملائكة والشياطين والمخلص المنتظر وقيامة الموتى)، وتمّت صياغة تاريخٍ إسطوريٍّ يخدم تلك العقيدة وذلك الحِلف.

10 المسيحية

بعد سقوط مملكة إسرائيل ظلّ اليهود يحلمون بقدوم ملكٍ قومي (ممسوحٍ بالزيت، مسيح) يُعيد إليهم أمجادهم، وهو الدور الذي حاول الكثيرون لعبه، وكان منهم داعيةٌ يهوديٌّ عاش بالقرن الأول يُدعى يسوع، وتبعه عددٌ من اليهود حتى تمّ صلبه، ممّا جعل الأكثرية يعتبرونه مجرد مسيحٍ زائفٍ فاشلٍ آخر، ولكن بعد ذلك ادّعى أتباعه أنّه قام من الموت مرّةً أخرى، وسعوا في نشر تلك الدعوة بين غير اليهود من خلفياتٍ يونانيةٍ ورومانية، وهكذا وُلدت المسيحية حيث انفصلت عن اليهودية الأم واختلطت بالوثنيات، وقام الداخلون إليها بإسقاط الشريعة والختان وتقديس السبت) الذي تمّ استبداله بالأحد، يوم الشمس) كما تمركز الإيمان باليهودية حول رمزٍ هجينٍ يهوديٍّ وثني، فهو بشرٌ من نسل داود، لكنه ابن الله، وهو واحدٌ لكنه ضمن ثالوثٍ على النمط الوثني، وقد كُتبت عدة سِيرٍ لحياته (أناجيل) باليونانية تمّ انتقاء بعضها لتصبح كتابًا مقدسًا للدين الجديد، إلى جوار الكتاب اليهودي الذي صار اسمه «العهد القديم»، ثم مع اعتناق بعض الأباطرة الرومان لتلك الديانة انتشرت بشكلٍ عالميٍ ولاقت حظًا أكبر من أمها المحلية، وقامت بالقضاء على الديانات الوثنية المحلية بشكلٍ عنيفٍ وممنهج.

Moussa Eightyzz

11. الإسلام

ظلت بعض الفرق الكتابية واقفةً في المنتصف بين الأصل اليهودي والفرع المسيحي، فهم يؤمنون بمسيحانية يسوع، وبنفس الوقت يتمسكون بالشريعة اليهودية والختان ويحلمون بالعودة إلى القدس حاكمين، وتعرّضت تلك الفِرق النصرانية والإبيونية للاضطهاد الروماني فهاجروا إلى الجزيرة العربية حيث احتكوا بالوثنيين العرب وعلّموهم التوحيد والنسب الإبراهيمي وتحالفوا معهم، وكان من تلاميذ النصارى تاجرٌ يُدعى محمّدًا، سرعان ما التقط الخيط وادّعى أنّه النبيّ المنتظر الذي جاء يُبشر بعودة المسيح،

وسعى لنشر دعوته بين قبائل العرب ممّا منحه قوةً عسكريةً متناميةً، وبعد أن رفضه اليهود بدأ يتحول إلى تقديس كعبة العرب الصحراوية والمنسوبة لإبراهيم، ثم مع تبدل موازين القوى تراجعت الإمبراطوريتان الفارسية والبيزنطية، وبرز نجم العرب بدينهم الجديد، وفي العصر العباسي سيتم صياغة التراث الحديثي والفقهي والتفسيري، وهكذا وُلد الإسلام.

12. شجرة الديانات

الخلاصة أن المسيحية والإسلام هما في الأصل مذهبان يهوديان انفصلا عن الدين الأم، واحدٌ بصياغةٍ رومانيةٍ والثاني بصياغةٍ عربية، وفي الحالات الثلاثة يمكننا ملاحظة قوة العلاقة بين الدين والسياسة، ومدى قدرة التوحيد الديني على دعم المشاريع الإمبراطورية بضمان جمع القوة الروحية في قبضةٍ كهنوتيةٍ واحدة، فلا عجب أنّ الشعوب الغازية قامت بفرض إلهها الواحد على الشعوب المغزوة، مع ملاحظة أن الديانات المذكورة هي التي سادت واشتهرت، ولكن بجانبها كانت هناك عقائد أخرى انتشرت قديمًا ثم ذوت، مثل الميثرائية والمانوية والمزدكية والصابئة، وحتى عصورٍ حديثةٍ ظلت الديانات والنبوات الجديدة تظهر، مثل البهائية والقاديانية في فارس والهند، ومثل المورمونية في أمريكا، وغيرها، ناهيك عن تعدد المذاهب داخل كل دين، مما يجعلنا أمام آلافٍ وربما مئات الآلاف من الطوائف على هذا الكوكب.

13. الأديان ثقافاتٌ بشرية

وهكذا يمكن القول أنّ كل الديانات تقتبس عن بعضها، وأنّ جميع العناصر الموجودة في اليهودية والمسيحية والإسلام وغيرها (مثل الله الواحد والملائكة والشياطين والجنّة والنار وقصص الخلق والطوفان والأنبياء، وكذلك جميع الطقوس والشرائع والأعياد... إلخ) هي منقولةٌ عن أصولٍ وثنيةٍ في مصر والعراق وسوريا وفارس، وبينما يدّعي بعض المؤمنين أنّ جميع الأديان أصلُها واحد (الوحي الإلهي) وأنّ ذلك هو سبب التشابهات فيما بينها، إلا أننا نلاحظ أنّ الديانات تتشكل حسب البيئة والزمان، فديانات البدو تختلف عن ديانات الفلاحين وهكذا، كما نلاحظ أن الأديان تتشابه كلما تقاربت جغرافيًا وزمنيًا، فمثلًا اليهودية تشبه ديانات مصر والعراق وفارس، أي المناطق التي نشأ اليهود وسطها، ولا تشبه ديانات أستراليا مثلًا، كما

Moussa Eightyzz

أنّ المسيحية تشبه اليهودية والديانات اليونانية والرومانية التي تبلورت جوارها، ولا تشبه ديانات الهنود الحمر البعيدة، كما أن الإسلام يشبه المسيحية واليهودية والوثنية العربية القريبة منه، ولا يشبه ديانات الصين البعيدة، وهكذا فنمط تشابه الديانات يجعلنا نقول أنها ثقافاتٌ تنشأ وتتطور وتقتبس عن بعضها، وذلك يفسر الأمر بأفضل مما يفسره افتراض وحدة مصدرٍ مزعومة.

14. تاريخية الدين

من الناحية العلمية والتاريخية لا يوجد أدنى دليلٍ على وجود شخصيات وأحداث التراث العبراني مثل آدم ونوح (وطوفانه) وسام وحام وأيوب ويونس وإبراهيم ولوط ويعقوب وإسحاق ويوسف وإخوته وموسى وهارون (وخروجهما) وسليمان ومملكته... إلخ؛ وقد اجتهد الآثاريون والباحثون المؤمنون في إيجاد حجرٍ واحدٍ يؤكد تلك الأحداث دون نجاح، بل اكتشفوا ما يعارض تلك الأحداث ويكذّبها، فهي ساقطةٌ تاريخيًا كما هي ساقطةٌ منطقيًا، بالإضافة إلى أنّ كثيرًا من قصص أولئك الأنبياء يتشابه بشكلٍ كبيرٍ مع أساطير أقدم بالمنطقة، ممّا يوحي بأننا أمام خرافاتٍ مقتبسةٍ عن بعضها، وربما بعضُها يعكس شذراتٍ من تاريخٍ حقيقيٍ تم تشويهه والمبالغة فيه وإضافة الخرافات إليه بغرض خدمة أغراضٍ قوميةٍ ودينيةٍ محلية.

15. تصور الأديان للكون

من أبرز علامات بشرية النصوص الإبراهيمية المقدّسة هي صورة الكون التي تُقدمها لنا، والتي تبدو متشابهةً تمامًا لتصور الوثنيين القدامى للكون، فالأرض في آيات التوراة والأناجيل والقرآن هي قرصٌ مسطحٌ له أطراف، وأمّا السماء فأشبه بسقفٍ صلبٍ أو بناءٍ مرفوعٍ كالخيمة فوقنا، تُرصّعُه مصابيحُ ملتصقةٌ به هي الشمس والقمر والنجوم، والتي تدور حول الأرض فتشرق وتغرب تحتها (في عينٍ حمئةٍ مثلًا)، ثمّ نجد فوق السماء ربما تكمن سماواتٍ أخرى، بأعلاها يوجد الله نفسه جالسًا على عرشه محاطًا بالملائكة، وهو المكان الذي زاره أكثر من نبيٍّ صعودًا في رحلاتٍ معراجيةٍ يمر فيها عبر أبوابٍ تفتح في السقف السماوي الصلب، ونجد أنّه يوم القيامة سيتم تمزيق تلك الخيمة السماوية وتدمَّر الشمس والقمر وتسقط النجوم على الأرض، ويُظهر الله نفسه ليشرق بنوره على الخلق، محمولًا على عرشه الطائر تحمله الملائكة المجنحة، ليقيم الموتى ويحاسب البشر.

16. خرافات الأديان

وكما أنّ النصوص الدينية تمتلئ بالأخطاء التاريخية والمغالطات المنطقية وبالتناقضات الداخلية، فهي كذلك تتناقض بشدةٍ مع المكتشفات العلمية التي توصّلنا إليها، مثل زعمها أنّ البشر مخلوقون من طين، أو أنّ الإنسان يُخلق من نطفةٍ دون ذِكرٍ لدور بويضة المرأة، أو أن تَشكّل العظام يسبق تَشكّل اللحم، أو أنّ الأرض بل النباتات خُلقت قبل الشمس، أو أنّ كل شيءٍ مخلوقٌ من زوجين، أو أنّ الجبال أوتادٌ تثبّت قشرة الأرض، أو أنّ هناك حشراتٍ تمتلك أربعة أرجل، أو أنّ الأرنب يجتر، أو أنّ الحمير والنمل تتكلم، أو أنّ الحيتان يمكنها ابتلاع البشر أحياء، أو أنّ القلب هو مركز التفكير والتعقل، أو أنّ السماء تحتوي

Moussa Eightyzz

جبالًا من الثلج، أو أنه لا عدوى، إلى غير ذلك من الأخطاء العلمية الواضحة، ناهيك عن مزاعم الخوارق والمعجزات التي لم يكن المؤمن ليصدّقها لولا أنها وردت في كتابه المقدس، ولعله لا يدري أن أكثرها منقولٌ عن خرافات القدماء، وفوق ذلك فالدين يضرب المنهج العقلاني نفسه في مقتل، حين يتصور أنّ عالمنا نشأ ويُدار بواسطة قوًى سحريةٍ غيبيةٍ هي فوق المادة وفوق المنطق.

17. لا إعجاز علمي بالأديان

وأمّا محاولات البعض لاستخراج آياتٍ علميةٍ من الكتب المقدسة، فهو دجلٌ يقوم على الكذب أو التلاعب باللغة لمنح الكلمات معانيًا جديدةً لم ترد عند القدماء، ولو كان هناك إعجازٌ حقًا لتمكن أهل الدين من الوصول إلى النظريات العلمية قبل الكفار، وهذا ما لم يحدث ولو مرّةً واحدةً، وإن ما يحصل هو أن المؤمنين ينتظرون بكلّ كسلٍ ظهور النظرية العلمية، ثم يسارعون بتلفيق أي نصوصٍ تبدوا ملائمةً لها من كتبهم، مع ملاحظة أنّ تلك المحاولات نفسها هي اعترافٌ ضمنيٌ بإفلاس الدين وتفوق العلوم الطبيعية، بدليل أن المؤمن صار يبحث عن دعمٍ لمقدساته الإلهية في أروقة المكتشفات العلمية البشرية.

18. الأخلاق الدينية

يزعم البعض أنّ الأديان تحضّ على الأخلاق وتؤدي لتماسك المجتمع، ولكن بتأملٍ بسيطٍ يمكن ملاحظة أنّ الأخلاق الدينية ليست سوى عادات القدماء، فقد لاحظ البشر منذ زمنٍ أن القتل والسرقة والتخريب والفوضى الجنسية هي أمورٌ تضر بالمجتمعات، فقاموا بتجريمها أو تنظيمها، ثمّ وجد ذلك المنع طريقه إلى تعاليم الأنبياء، فالأديان عكست الأخلاق الموجودة ولم تخترعها، وعلى الجانب الآخر نجد أنّ الأخلاق الدينية فاسدةٌ وتتسم بعدة سماتٍ سلبية، فهي أخلاقٌ متضاربة (كلّ دينٍ له منظومته الأخلاقية التي تعارض أختها)، كما أنها أخلاقٌ انتهازية (فالمؤمن يفعل الخير خوفًا من عقاب الله وطمعًا في مكافأته، حسب سياسة العصا والجزرة الجديرة بحيوانات السيرك وليس ببشرٍ أحرارٍ عقلاء)، وهي كذلك أخلاقٌ محليةٌ ذاتية (فقد تجد دينًا يُحرّم القتل والسرقة والاغتصاب داخل مجتمعه، ولكنه يبيح تلك الأمور في الحروب الجهادية حين توجهه للأعداء، ويسميها بغير أسمائها)، وفي ثنايا النصوص الدينية نجد أوامر بالقتل والتخريب والغزو، كما نجد عقوباتٍ قاسيةً همجيةً، أحيانًا على مخالفاتٍ بسيطةٍ تافهة، كما أننا لا نجد أنّ هناك دينٌ واحدٌ قام بتحريم العبودية واسترقاق البشر، وفوق ذلك نجد احتقارًا كبيرًا للمرأة التي توصف بالنقص والتبعية والنجاسة والفتنة... إلخ.

وهذا ينطبق على الديانات الشرقية (كالبوذية) كما ينطبق بالطبع على اليهودية والمسيحية والإسلام، والخلاصة أنّ أكثر الأخلاقيات الدينية لا تصلح لعصرنا، هذا إن سلّمنا بأنها كانت تصلح لعصرها.

Moussa Eightyzz

19. عبثية الاختبار و«العدالة» الدينية

من أبرز السمات التي تدلّ على عبثية منظومة العدل في الأديان، خاصةً الإبراهيمية، هي أنها ترهن الرضا الإلهي بالإيمان قبل كل شيء، مما لا يحقق عدلًا ولا يبني مجتمعًا سليمًا، فإن كنت من جماعتنا فذنوبك مغفورةٌ مهما فعلتَ، وإن كنت من الجماعة الأخرى فمصيرك العذاب الأبدي ولو كنت أفضل الناس إحسانًا، وهو عذابٌ ساديٌ مخيفٌ يمتلئ بأوصافٍ ناريةٍ مرعبةٍ لا تخرج من مخيلةٍ رحيمةٍ سوية، وإن رأى البعض أنّ الحياة هي «اختبار» فلا أدري ما جدوى ذلك الاختبار العبثي الذي يطلب من البشر التصديق بلا دليلٍ والاتّباع الأعمى للكهنة؟ ويغضب ممّن يتشكك أو يستخدم عقله بشكلٍ متحرر، كما يتوقع من البشر أن يجدوا ضالتهم وسط آلاف المذاهب والطوائف المختلفة.

20. الإله الديني

أمّا صورة الخالق الذي تقدمه تلك الأديان، فهي صورة طاغيةٍ جبارٍ متعصبٍ ضيق الأفق يجلس على عرشٍ سماوي، يُحب ويكره ويفرح ويغضب ويندم ويتحسر، ثم أنه خلق ذلك الكون الواسع فقط لكي يتسلى باستعباد واحدٍ من أشباه القرود، فيلعب معهم لعبة الغميضة، ويختبرهم بشيءٍ هو يعرف نتائجه مسبقًا، ويُرضي غروره بسماع صلواتهم وثنائهم عليه وتوسلاتهم له، كما أنّ صاحبنا يغضب بشدةٍ ممن يتجاهله أو يشكّك في وجوده، وهي صورةٌ بائسةٌ لا تليق حتى بإنسانٍ عقلانيٍ حكيم، ناهيك عن خالق المجرات المزعوم، وهي صورةٌ مستمدةٌ من شخصيات الحكّام والملوك القدامى في المنطقة والذين كانوا يجلسون على العروش ويطلبون الطاعة والتمجيد ويعاقبون الخونة ويحيطون أنفسهم بالخدم والكتبة ويبعثون الرسل إلى المدن برسائل تحذيريةٍ تأمر أهلها بالخضوع والولاء للملك المركزي الواحد، لا شريك له.

21. الترقيع الديني

هي مرحلةٌ يمر بها كل مؤمنٍ يفكر، ويلاحظ القصور المنطقي والعلمي والأخلاقي للأديان، لكنه بنفس الوقت لا يجد في نفسه الجرأة على رفضها تمامًا، وذلك بسبب ارتباطه نفسيًا بالموروث وكذلك عجزه عن إجابة الأسئلة الوجودية، والنتيجة أنه يجتهد في إعادة تأويل الدين ولي عنق نصوصه ليتناسب مع عقلِه وضميره، فتجد البعض يقول أن قصة الخلق الديني هي قصةٌ رمزيةٌ لا يجب أخذها حرفيًا، وكذلك الحال مع النصوص ذات الطابع العلمي التي تتكلم عن الكون والطبيعة، بينما يصرّ آخرون أن آيات القتل والقتال هي حالاتٌ خاصةٌ يجب أخذها في سياقها وعدم تعميمها، وتصل المسألة بالبعض إلى إنكار عذاب الجحيم والنتيجة أننا أمام إعادة صياغةٍ كاريكاتوريةٍ للدين بحيث يتم تفريغه من مضمونه بشكلٍ لم يقل به أصحاب الدين ومؤسّسيه الأصليين، وهي كذلك اعترافاتٌ ضمنيةٌ بأن الدين في حالته الأصلية لا يصلح للعصر، ولا يتلاءم مع العقل والضمير.

Moussa Eightyzz

22. الأديان تأثيرها سلبي

الأديان بتعريفها الشامل هي منظومات تفكير وحياة القدماء، ولا يمكن القول بأن كلها شر، بل ولا يمكن إنكار دور الأديان في الحفاظ على تماسك بعض المجتمعات وفي منح الناس الراحة والطمأنينة في أوقات الصعاب، ولكن هذا لا يمنع أنّ تلك المنظومات خاصةً الإبراهيمية روّجت للخرافات داخل المجتمع، وقامت بتعطيل العقل الحر والبحث العلمي، وعادت الحريات ورسّخت للدكتاتورية بأن جعلت الشعوب لعبةً في أيدي الكهنة والحكام، وأوقعت الناس في خلافاتٍ تافهةٍ نتيجة الإيمان الغيبي وتقديس النصوص، خاصةً مع غموض تلك النصوص وإبهامها،

كما أنها وقفت بشدةٍ في طريق التعايش والتعددية المجتمعية والمساواة بين البشر ومنح العبيد والنساء والأقليات حقوقها، كما أنّ كثيرًا من الحروب والفتن الطائفية قامت أو تضخمت أو طالت بسبب وجود العنصر الديني فيها، ولا شك أنّ الحكومات الدينية جسّدت أسوأ الأنظمة التي عرفها البشر، كما لا شك أنّ التحرر من سلطة الأديان يساهم في تقدم المجتمعات سياسيًا واقتصاديًا.

23. الأديان تستحق السخرية

هذه ليست حُجّةً منطقيةً بقدر ما هي خطوةً نفسيةً مهمةً، فتلك الأديان التي تُعطّل العقل والأخلاق وتعادي قيم العلم والتسامح والتعايش وحتى السعادة، لم تنتشر إلاّ بدعم السلطات السياسية، ثم استمرت في العيش ليس لأنها الأكثر وجاهةً ومنطقًا، وإنما لأنها تتلاعب بمواطن العجز البشري، ولا تسمح لأفكار غيرها بالتواجد على الساحة، ولأنها تحيط نفسها بهالةٍ من الرهبة والقداسة غير المبررة، فأكثر عناصر الأديان كانت بالحقيقة لتثير الضحك أو الاشمئزاز (أو كليهما) لولا أنها ارتبطت بموروث الآباء المقدّس وتم إحاطتها بكهنةٍ لا يملكون علمًا ولا يقدمون أي خدمةٍ للمجتمع، ويستمدون الاحترام فقط من ارتدائهم لقبعاتٍ مرتفعة، وبالتالي فتناول الأديان وآلهتها بالسخرية هو خطوةٌ ضرورية، ليس بغرض الإساءة أو جرح مشاعر المؤمنين، ولكن بغرض إزالة هالة القداسة المهيبة الزائفة التي أحاطت الأديان نفسها بها عبر القرون، وبالتالي تعريتها لرؤيتها في حجمها الحقيقي.

24. ماذا عن الله؟

إذا اتفقنا على بشرية الأديان فسننتقل إلى القضية الوجودية ونسأل: ولكن ماذا عن الكون والحياة، هل جاءا هكذا بالصدفة بلا خالقٍ أو رب؟ ولكن لنطرح سؤالًا مختلفًا: إذا سلّمنا بضرورة وجود «جهةٍ ما» خلقت الكون والحياة، فما الذي يجعلنا

Moussa Eightyzz

نَصف تلك الجهة بأنها رَبٌ أو إله؟ ولماذا الربوبي أحيانًا يصف تلك الجهة بالكمال أو الخير أو الحكمة أو المحبة أو العدل، ولماذا يتحدث عنها بصفة المفرد والمذكر؟ لماذا لا تكون تلك الجهة هي مثلًا مجموعة كائناتٍ شريرةٍ اتفقت فيما بينها على خلق الكون؟ الجواب الوحيد أنّ الربوبي ما يزال متأثرًا بصورة الإله الديني المذكورة خاصةً في الديانات الإبراهيمية، والتي هي كما ذكرنا مستمدةٌ من صورة الحاكم العظيم قديمًا، وهذا يعني أن فكرة الإله هي فرعٌ عن الدين، وليس العكس، وهذه نقطةٌ غايةً في الأهمية تجعلنا نكتشف أنّ الله لا يختلف عن آمون رع أو زيوس أو كريشنا، آلهة المصريين أو اليونانيين أو الهنود؛ وها هو إله اليهود والعرب وهو سببٌ كافٍ لأن نتخلص من الربوبية مع تخلصنا من الأديان، مع الاحتفاظ باحتمالية وجود جهةٍ ما غامضةٍ خلقت هذا الكون.

25. تناقضات الكمال

افتراض وجود خالقٍ كاملٍ يخلق الكثير من المعضلات والتناقضات المنطقية: فمثلًا لماذا يحتاج الكامل الحكيم إلى خلق الكون والبشر أو فعل أي شيء؟ إن كانت تُحركه الضرورة فهو ناقص القدرة، وإن كان يفعل بلا ضرورةٍ فهو ناقص الحكمة، كذلك كيف يمكن أن يكون كامل الرحمة والعدل بنفس الوقت؟ بينما كمال أحدهما ينقص من الآخر، فلو عاقب المذنب فهو ناقص الرحمة، ولو عفا عنه فهو ناقص العدل، وكيف يكون كامل العلم والقدرة بنفس الوقت؟ فهل يستطيع تغيير ما عَلم مسبقًا أنه سوف يفعله؟ إن قلنا نعم فعلمه ناقص، وإن قلنا لا فقدرته ناقصة، وكذلك هل يستطيع خلْق صخرةٍ يعجز عن حملها؟ في الحالتين نجد أن قدرته ناقصةٌ والخلاصة إنّ فكرة الكمال نفسها فكرةٌ مستحيلة الوجود لأنها متناقضةٌ داخليًا.

26. معضلة الشر

هي معضلةٌ قديمةٌ وتصلح لمخاطبة من يؤمن بإلهٍ كاملٍ وخيِّر، وتسير كالآتي:

هل الإله يريد منع الشر ولكنه لا يقدر؟ إذًا هو عاجز،

هل هو قادرٌ على منع الشر ولكنه لا يريد؟ إذن هو شرير،

هل يريد وقادر؟ إذًا من أين يأتي الشر؟

والخلاصة أنّ وجود الشرور حولنا: الأمراض والحروب والزلازل والبراكين هي شواهدُ على استحالة وجود إلهٍ كاملٍ ورحيمٍ وعادلٍ وعليم، يحاول البعض الرد على تلك المعضلة بعدة أمور: منها القول بأنّ تعريف الشر ملتبس، ولكن هذا غير صحيحٍ فالشر هو الألم والمعاناة، خاصةً غير الضروريين، ويحاولون القول بأنّ الشر هو فقط غياب الخير، وهو تلاعبٌ لفظيٌ يمكن عكسه بالقول أن الخير ليس إلا غياب الشر، ويقولون أنّ الشر ضروريٌ لكي نشعر بالخير، ولكن هذا يبدو عجيبًا مع وجود إلهٍ مطلق القدرة، ومطلق الخير، ويعِدُنا بنعيمٍ أبديٍ لا شر فيه،

ويقولون أنّ الشر منبعه الإنسان وحريته، ولكن يفوتهم ملاحظة الشرور في الطبيعة مثل الأمراض والكوارث الطبيعية والخلاصة إنّ كل محاولات الردود لا تزيل المعضلة أو تحلها.

Moussa Eightyzz

27. الدعاء لا يستجاب

هذه من التجارب العملية البسيطة التي تحدث أمامنا كل يومٍ ويمكنها أن تثبت وجود أو عدم وجود إلهٍ قادرٍ يراقبنا ويرعانا: ببساطةٍ ارفع يديك إليه بالدعاء، وستجد أن النتيجة إحصائيًا مطابِقةٌ لتوجهك بالدعاء إلى أي إلهٍ آخر، أو حتى إلى حجرٍ أصم، فما تتمناه قد يحدث أو لا يحدث، وذلك تبعًا لسهولته واحتماليته الواقعية ولضربات الحظ، فلو أنك أُصبت بمرضٍ بسيطٍ وذهبت إلى طبيبٍ ماهرٍ فعلى الأرجح أنّك ستُشفى سريعًا، ولو أُصبت بمرضٍ خطيرٍ ولم تشرع بالعلاج فعلى الأرجح أن أمورك ستسوء، وذلك بغض النظر عن الإله الذي تتوجه إليه بالدعاء،

ويمكنك التأكد من ذلك حين ترى المؤمن يهرع إلى الأطباء قبل أن يدعو، وحين ترى الكوارث الطبيعية تصيب الجميع بلا تفرقة، وحين ترى متوسط العمر مرتفعًا في المجتمعات المتقدمة تقنيًا وطبيًا، وحين ترى الفقر والجوع والجريمة منتشرةٌ في البلاد المنهارة سياسيًا واقتصاديًا، والتي أكثر سكانها مؤمنون مخلصون، ولكنك مع ذلك لا ترى أثرًا لتدخل الآلهة فيها، إلاّ لو كانت آلهة الشر والخراب.

28. العالم يسير بقوانين ثابتة

اغمض عينيك وحاول أن تتخيل كونًا يسير بإرادة شخصٍ مهيمنٍ مطلق القدرة، والآن تخيّل كونًا يسير بقوانين ميكانيكيةٍ ثابتةٍ مثل الساعة المضبوطة، ألا ترى أن الصورتين تتناقضان نظريًا؟ إمّا أنّ الأمور تسير حسب قرارات كائنٍ علويٍّ له شخصيةٌ وإرادةٌ وأغراض، يُحب ويكره ويفرح ويغضب، وإمّا أنّ الأمور تسير بخصائص طبيعيةٍ لا يسيرها عقلٌ أو إرادةٌ شخصية، ولا يمكن الجمع بين التصورين وكلّ الشواهد تشير إلى أننا نعيش في عالمٍ من النوع الثاني،

ونجد أنّ كل مزاعم الخوارق والمعجزات هي ادعاءاتٌ تاريخيةٌ أسطوريةٌ أو معاصرةٌ من قبيل الحكايات الشعبية التي يحاول كل أصحاب دينٍ الترويج لأنفسهم من خلالها، والتي يمكن تفسيرها طبيًا ونفسيًا وفيزيائيًا، وواقعيًا لم يُثبَت أنّ قوانين الطبيعة تمّ خرقها ولو مرةً واحدةً.

29. عبث المعجزات

حتى لو سلّمنا جدلًا بوجود الخوارق المعجزة قديمًا أو حديثًا، فهذا إن صح فلن يثبت شيئًا بالحقيقة، إلاّ أنّ معرفتنا ناقصةٌ أو أنّ علومنا خاطئة، وهذا لن يبرهن بالضرورة على وجود أي عفاريت سماوية، فلو فرضنا أن شخصًا جاءنا فأحيا الموتى أمام أعيننا وطار في السماء وحوّل الماء إلى نبيذ، فما الذي سيثبته ذلك؟ أنه مدعومٌ من خالق الكون؟ لا، ليس بالضرورة، فقد يعني أشياء أخرى منها أنّ هذا الشخص ساحرٌ ماهرٌ مثلًا أو يمتلك تكنولوجيا خارقةً أو ربما جاء من المستقبل أو حتى مدعومًا من كائناتٍ فضائية... إلخ، الاحتمالات كثيرة،

Moussa Eightyzz

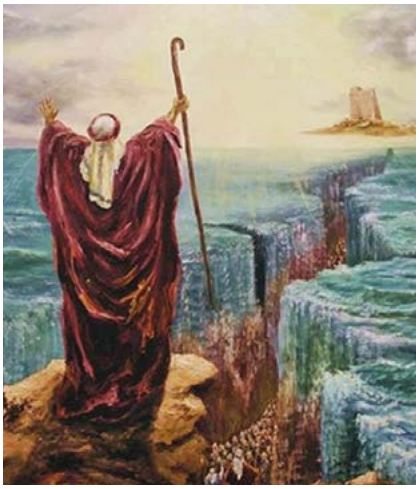

فالمعجزة تعني أن شيئًا ما ليس على ما يرام، ولكنها لا تثبت شيئًا، لأنّ الإثبات بالتعريف هو عمليةٌ منظمةٌ ممنهجةٌ تقوم على دراسة القوانين المعروفة، والمعجزة بالتعريف أيضًا هي خرقٌ للنظام والمألوف، فهي تصلح للتشكيك في المعرفة ولكنها لا تصلح لإرساء معرفةٍ جديدة، فلا يجتمعان، هذا المعنى نجده في ثنايا النصوص الدينية نفسها، حين ترى النبي يحاول البرهنة على صحة رسالته عن طريق القيام بمعجزة، وفي نفس الوقت يحذّر أتباعه من تصديق أي مدّعي نبوةٍ آخر أو مسيحٍ دجّال، مهما جاء بمعجزات، لأنها في تلك الحالة تكون سحرًا أو من الشيطان وهكذا، فتصديق المعجزات لا يؤدي إلى الإيمان بالدين، وإنما الإيمان بالدين هو الذي يؤدي إلى تصديق المعجزات.

30. التطور

الحياة ظاهرةٌ كيميائية، والكائنات الحية لم تُخلق فجأةً بشكلٍ سحري، وإنما نشأت بشكلٍ مبسّطٍ نسبيًا وتعقّدت ببطءٍ تدريجيٍّ عبر مليارات السنين، وهذا التطور لم يحدث عن طريق سلسلةٍ متصلةٍ من المصادفات، وليس عن طريق مهندسٍ مصمم، وإنما عن طريقٍ ثالثٍ هو آلياتٍ طبيعية، فبسبب الطفرات (العشوائية) نجد أنّ الكائنات تُولد بسماتٍ مختلفة قليلًا عن سمات الوالدين، ثم إنّ الكائن الذي يمتلك سماتٍ تؤهله للبقاء وسط ظروف بيئته ينجح في التناسل وتمرير جيناته، بينما الكائن الذي يمتلك سماتٍ سلبيةٍ يموت (الانتقاء الطبيعي)، والنتيجة النهائية هي أنّ الأنواع تتطور باستمرار، وتصير أقوى وأسرع وأنسب لظروفها، كما تتفرع إلى أنواعٍ جديدة؛ ذلك التطور هو حقيقةٌ علميةٌ ثابتة تدلّ عليها الحفريات والتشريح والجينات، وهي مباحث مختلفةٌ لكنها تتفق جميعًا في رسم نفس الصورة التي فطن لها تشارلز داروين من قبل.

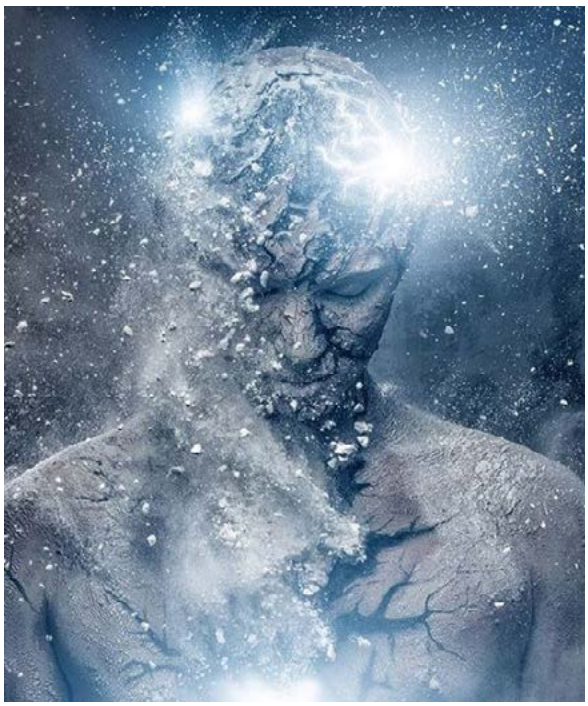

31. خرافة الروح

من الناحية العلمية ليس هناك روحٌ وجسد، تلك الثنائية خرافةٌ أخرى ساقطة، وأن كل ما نشعر به ونفكر فيه هو نتاج عمل المخ المادي، ولهذا نجد أنّ التأثر متبادلٌ بين الفكر والمادة، فالإشارات العصبية تُحرك أطرافنا، والمخدرات تُعطّل عقولنا، وحدوث الألم قد يُسبب لنا الحزن، كما أنّ الاستغراق في الحزن قد يؤدي إلى آلامٍ جسدية، فلا فصل بين النفس والجسد كما نتوهم... وأما الروح فهي خرافةٌ نبعتْ من ملاحظة القدماء أنّ الميت لا يتنفس، أي أن رياح / روح الحياة، أو النفس، قد خرجت منه، والنتيجة أنّ الحديث عن وجود حياةٍ بعد الموت هو كذلك حديثٌ غير علمي، حيث أنّ الوعي ناتجٌ عن نشاط المخ، ويزول بزواله.

Moussa Eightyzz

32. الكون لا يبدو مخلوقًا

لا يوجد نظامٌ يحكم الكون كما يزعم البعض، وإن ما لدينا هو خصائص طبيعيةٌ للأشياء، نسمّيها قوانين الطبيعة، وهي لا تحتاج إلى مهندسٍ لوضعها، ولم تُنتِج سوى كراتٍ صخريةً ونارية تدور وتتصادم لملايين السنين بلا هدف، ولكن تلك الفوضى حين تشغل مساحةً كافيةً وتستمر لوقتٍ كافٍ فقد تخلق أنماطًا محدودةً من الترتيب غير المقصود، وهو ما حدث في بعض مناطق كوكبنا، وذلك مع ملاحظة أنّ كوننا لا يبدو مصنوعًا من أجلنا، وأكثر الكواكب والنجوم والمساحات الفضائية لا تصلح لإقامة حياة، بل أن أكثر كوكبنا بمحيطاته وصحاريه لا يصلح، بالإضافة إلى أنّ الحياة ظاهرةٌ حديثةٌ فقد ظلّ الكون لنحو عشرة مليارات سنةٍ بلا حياةٍ فلماذا الخالق العظيم يحتاج إلى كل تلك المساحة وكل ذلك الوقت؟ هذا كله لا يُنبئ بأنّ هناك تخطيطًا أو غايةً، وإنما هي تقلباتٌ طبيعيةٌ صادفت حظًا سعيدًا، ومن يرى غير ذلك يشبه مسافرًا في الصحراء صادف واحةً خضراء صغيرةً وسط الرمال، فظنّ أن هناك من وضعها هنا خصيصًا من أجله.

33. الخلق خرافة

يستند المؤمنون أحيانًا إلى مبدأ السببية لمحاولة إثبات أنّ الكون مخلوق، ولكن حتى المؤمن لا يعتبر أن قانون السببية مطلق، فهو يستثني الله منه، حيث قام بالخلق بشكلٍ عفويٍّ دون سببٍ يؤثر عليه، وربما كذلك يستثني الروح الإنسانية من السببية (لأنه يؤمن بِحرية الإرادة العفوية)، وكذلك من الجانب العلمي نجد أن ميكانيكا الكم (فيزياء الجسيمات الصغيرة) لا تخضع لمبدأ السببية التقليدي الذي نعرفه، والخلاصة أن كلا الفريقين يؤمن أن السببية يمكن كسرها، وأنّ هذا حدث في بداية الكون، ولكن تخبرنا الفيزياء أنّ مفهوم العدم هو وهم، وأنه حتى الفراغ ينبض بذبذبات الطاقة، وأن مبادئ الفيزياء تسمح بظهور جسيماتٍ في ذلك الفراغ، كما تخبرنا أن طاقة الكون الكلية تساوي صفرًا، لأن مجموع المادة (طاقة إيجابية) يساوي مجموع الجاذبية (طاقة سلبية) والنتيجة أننا لسنا أمام خلقٍ وإنما تحوّلٌ للطاقة من صورةٍ إلى أخرى.

34. إله الفجوات

مما سبق لا يعني أنّ العلم قد توصّل إلى جميع الإجابات بشكلٍ كامل، فقضايا مثل نشأة الحياة الأولى وسر الوعي وبداية الكون هي قضايا ما يزال العلماء يبحثون فيها، ولكن يجب ملاحظة أنّ نقص العلم أو حتى الجهل ليس سببًا كافيًا للاستسلام للخرافات، وإلاّ كنّا مثل الإنسان البدائي الذي عجز عن تفسير ظاهرة البرق والرعد فقال بأن الآلهة غاضبة، أو مثل القروسطي الذي عجز عن فهم سبب المرض فقال بأنها شياطين... إلخ،

فحتى مع نقص العلوم نجد أنفسنا مُلزمين بالبحث المنطقي والطبيعي القائم على الرصد والتفكير المنظم، وليس على تصديق خيالات بدو الصحاري، وهكذا يبقى التنظير العلمي أقرب إلى التصديق لأنه يفسر الأشياء بالإحالة إلى سمات الطبيعة التي يمكن رصدها ومعرفتها وإثباتها، ولا يفترض وجود عفاريت غيبيةٍ قامت بالأمر وكشفته لفردٍ واحدٍ في كهفٍ خفي، وهكذا تبقى المعتقدات الدينية عائقٌ حقيقيٌ أمام التفكير العلمي، لأنها تُقدّم لنا وهم المعرفة، وهو أخطر من الجهل.

Moussa Eightyzz

35. معنى الحياة

يرى البعض أنه بدون الدين حياتنا هي عبثٌ تام، جئنا من العدم ومصيرنا إلى العدم، بلا معنى أو غاية، وأول ما يخطر بذهني هنا هو: أين المعنى العظيم في وجود كائنٍ خفيٍ خلقنا لنؤمن به ونعبده دون رؤيته، ولنطيع أوامره دون فهمها، وذلك لكي يضعنا في حديقةٍ كبيرةٍ نمرح فيها إلى الأبد؟

وعلى الجانب الآخر فالكون بالفعل لا يبدو أن له غايةً معينةً شاملةً، فالقصدية هي سمةٌ حديثةٌ ناشئةٌ لدى الكائنات ولاسيما البشر، ومن الغباء الشديد أن نُسقط سماتنا على الكون ذاته، كما أنه من الغباء الظن بأنّ توقنا للمعنى والعدالة والخلود يجب أن يعني بالضرورة وجود تلك الأشياء، وكأنّ الكون موجود لتلبية رغبات أشباه قرودٍ تعيش على ذلك الكوكب بأطراف مجرةٍ ضمن مئات المليارات من المجرات، وأمام تلك الحقيقة القاسية (غياب المعنى) أمامنا حلّان:
إما أن نخترع معنًى نخدع به أنفسنا فنوهمها بأننا مركز اهتمام الوجود كله،
وإما أن نتقبل المسألة ونسعى نحن لخلق معانٍ متعددةٍ ومحدودةٍ لحياتنا نعيش من أجلها.

36. الإلحاد هو البداية لا النهاية

لقد اعتدنا على أنّ الدين هو منظومةٌ شاملةٌ تجيبنا على جميع الأسئلة وتدير كل شؤون حياتنا، لكن البعض يترك تلك المنظومة إلى اللادينية أو الإلحاد، وظلّ الاعتقاد موجودًا عند البعض بأنّ الإلحاد لابد وأن يكون منهجًا فكريًا أو (دينًا موازيًا) يُجيب بدوره على الأسئلة ويدير الحياة، وهذا عبث،

فالخروج من الأديان يعني أنك قد تحررت من القطيع وصرت فردًا تبني أفكارك بنفسك من خلال القراءة والبحث، ولا تتلقاها جاهزةً من كتابٍ مقدسٍ أو كاهن، فكلُّ شيءٍ قابلٌ للتشكيك وكلّ شخصٍ قابلٌ للخطأ، والعلم التجريبي، وإن كان أفضل أداة معرفةٍ توصّل لها البشر، وإن كان يُقدم لنا أفضل إجاباتٍ متاحةٍ عن أسئلة الوجود والنشأة، إلا أنّه يظلّ أداةً محدودةً ومتطورةً باستمرار، لا تدّعي العِصمة أو الكمال، وأمّا بناء مفاهيمَ عن الأخلاق والمعنى فهي مهمة البشر جميعًا، وهم قادرون على إنجازها بشكلٍ مستقلٍ عن خرافات العصر البرونزي.

رسومات دينية ساخرة

غير مناسبة لذوي المشاعر الدينية المرهفة

www.facebook.com/M-80-II-941772382615672

على مقهى الآلهة

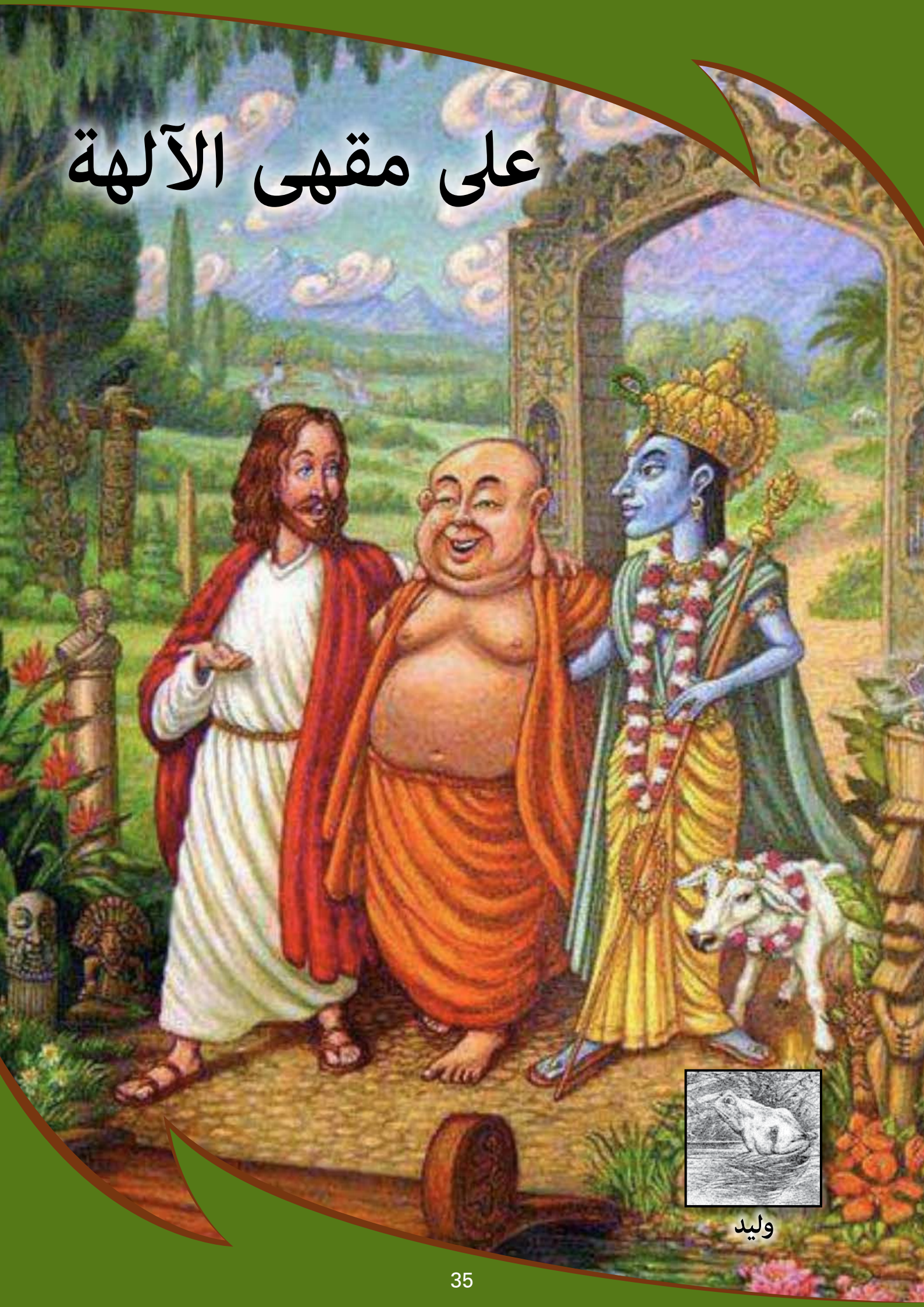

وليد

وليد

أصابني منظر أحباب الله في كارثة تسونامي وهم ملقون جثثًا هامدة، بحالة كآبةٍ شديدةٍ وذهبت كعادتي لخلوتي في غاري المُفضّل في جبل المقطم أناجي الإلـٰه وأعاتبه على ما فعله بأحبابه وتركه أعداءه يهيمون في كل وادٍ في الأرض يملأونه فسادًا. وعندما علا نحيبي وزاد عتابي ثقّلت رأسي وسمعت صلصةً كصوت الجرس فأدركت أنني في سبيل لقاء حبيبي مرةً أخرى. وجاءني هاتفٌ من داخلي ملأ عقلي وإحساسي حتى أصبح الصوت كل ما أشعر من دنياي.

لقد أتى الله قائلًا: وليد مرّةً أخرى! ماذا تريد؟ ألم تكتفِ بما قلت لك؟!

- لا أشبع من حديثك يا ربّ.

- وماذا تريد هذه المرّة؟

- لماذا هذه القسوة على أحبابك الصغار؟

تعالت ضحكاته: أحبابي؟! ليس لي أحباب. من قال لك هذا؟ هل تعلم كيف مات هؤلاء؟

- غرقًا.

- بل كانت خسارةً كبيرةً لي.

- لم أسمع أنّ الإله يخسر.

- وهل تظنّ أنّ تلك الأرض التي تعيشون عليها تمثّل أي معنًى لي؟ ألا تعلم كم هي صغيرةٌ وحقيرةٌ في هذا الكون؟

- نعم أعلم. ولكن ما دامت حقيرةً بهذا الشكل فلماذا كانت أصلًا؟

- إنها لي كرقعة الشطرنج أو النرد.

اضطربت أعصابي عندما علمت أنني كقطعةٍ في لعبة.

وقلت: هكذا فقط ترفعني من مكانٍ لتضعني في مكانٍ آخر؟

- ألست حرًّا فيما أفعل؟

طأطأت رأسي وقلت: نعم. ثمّ انتفضت وجاءتني الفكرة وقلت: أريد أن ألعب أنا أيضًا. أريد أن أراك وأنت تلعب بهذه الأرض ومع من تلعب، أريد فرصةً يا ربّ لأرى ما تفعله وكيف تمشي الأمور وكيف تسير هذه الدنيا، كيف تحرّك هذا وتقتل هذا وتصارع هذا.

- أمجنونٌ أنت؟ ماذا تقول؟ إنّ هذه لعبة لا يتقنها إلّا الآلهة.

- ألستَ حرًّا فيما تريد؟ ألستَ قادرًا على كل شيء؟ اجعلني إلهًا أو حتى نصف إلهٍ لأرى هذه اللعبة؟

على مقهى الآلهة

وليد

صمتَ وقتًا طويلًا وقال: لا مانع، إنّ هذا الأمر سيكون جديدًا.

انتابني شعورٌ بالنشوة أن أكون إلهًا.

- لكنّك لن تكون إلهًا، سأجعلك متابعًا فقط.

لم أكن لأرفض...

- إذًا وماذا بعد؟

- سآخذك إلى المكان الذي تجتمع فيه الآلهة وترى كيف تجري الأمور على أرضكم وكيف يحرك كل إلهٍ قطعةً على الرقعة.

- تقصد الأرض؟

- رقعة أرض، لا يهم، ما يهم هو ما يجري فوقها.

أحسست جسدي ينفصل عما حولي.. لم أعد أرى بعينيّ ولا أسمع بأذنيّ، أحسست أني أصعد بسرعةٍ كبيرةٍ للأعلى، أصبحت أرى الأرض من بعيد، إنها تبعد وتبعد، أصبح الكون أمامي ظلامًا دامسًا، شعورٌ غريبٌ بالوحشة والظلمة وما زلت أحس أنني أبعد وأبعد.. لم أعد أرى الأرض، حتى الظلام بدأ يختفي، وهجٌ شديدٌ يقتحم عينيّ، مددت يديّ لكنني لم أجد يدًا ولا عينين، لم أدري ماذا أصبحت، الوهج يكاد يقتلني من شدته، أصبت بدوارٍ شديدٍ والألم يكاد يقتلع رأسي الذي لا أجده، ماذا أنا؟ لا أعلم، صرخت بأعلى ما فيّ، أين أنا؟ أين أنت يا الله؟ ماذا يحدث لي؟ أفقت على صوت ضحكات، بدأت عيناي تعتادان على الوهج الشديد، كنت أحس كأنني طائرٌ وجسمي لا أبعاد له. أرى ما حولي ولا أرى نفسي، لا أستطيع أن أفعل شيئًا سوى أن أرى. جاء صوته من بعيد، أحسست بغربتي تزول عندما سمعت صوته:

- لا تقلق! قلت لك ستتابع فقط.

رأيت العديد من الكائنات التي لم أرها في حياتي. ابتدرني أحدهم قائلًا: أهلًا أنا زيوس مرحبًا بك. وجاءني صوت أنثويٌّ رائع: أنا عشتار.

بدأت أتطلع حولي.

- أقدّم لك آمون، وذاك كْرِشْنَا الجالس هناك وحوله شلّةٌ من الآلهة.

قلت بيني وبين نفسي: لو ذهبت إليهم لأضعت عمري كله قبل أن

وليد

أعرفهم، لكن انظر من هناك.

- مدّ يدك وصافح إنه هُبَل.

- تشرّفت بمقابلتك. دعني أكتشف بنفسي التي بجانبك، أنتِ أكيد اللات.

تبسّمتْ وقالت: وكيف عرفت؟

قلت: وهل تخفي الغرانيق العُلى.

أمضيت وقتًا ممتعًا أتنقل بين هذا وذاك. أعجبني مازْدا كثيرًا، إنه شخصيةٌ شديدة المرح أما عزازيل المدعوّ بإبليس فكان لا يكفّ عن النظر إليّ، ألقيت عليه التحية فأومأ لي برأسه. لا تُتاح الفرصة كثيرًا للتنقّل بين الآلهة. إنها كائناتٌ لطيفةٌ جدًّا. تذكّرت فجأةً أنني لم أكن هنا للتعارف.

قلت للّه: لماذا تجتمعون هنا؟

- ألم ترد أن تعرف ماذا نفعل بالأرض؟

- كيف تلعبون؟

- القواعد هنا أنه لا قاعدة، كلٌّ يفعل ما يشاء. المنتصر هو من يحصل على أكبر كمّيةٍ من القواشيط.

- القواشيط تعني بها الإنسان؟

- نعم هناك القشاط الأبيض والأسود والأصفر والمُلوّن، كل إلـٰهٍ يحاول أن يحصل على أكبر قدْرٍ من البشر والإله المنتصر هو من يكسب جميع القواشيط.

وليد

- وكيف تسيطر على البشر؟

- هذا راجعٌ لكلّ إلهٍ يضع الأفكار التي يراها ليستميل أكبر قدْرٍ من البشر ليحملوا اسمه على الرقعة.

- تقصد الأرض.

- نعم. كما ترى بعض الآلهة خرجوا من اللعبة تمامًا، أنا شخصيًّا استطعت في حركةٍ واحدةٍ إزاحة ثلاثة آلهةٍ من الرقعة، هبل ومناة واللات، غير الضربات الموجعة التي وجّهتها ليهوه. حقيقةً لا نرتاح لبعضٍ أبدًا.

- لكن لا تنكر أنك تتعرّض الآن لضربات موجعة.

- لا يهمّني، فقد حصلت على أعدادٍ هائلةٍ من القواشيط لا يمكن التأثير فيها بسهولة، أحاول كسب المزيد ولكن تواجهني مشاكل كبيرة.

- قل لي كيف تحوّلت من إلهٍ لا تملك إلّا العدد القليل من القواشيط إلى إلهٍ تملك كل هذه الأعداد الغفيرة؟

- انظر! الموضوع كلّه يعتمد على فكرةٍ جديدةٍ تستهوي البشر ويندفع الكلّ وراءها. لقد أعجبتني فكرة يهوه لكنه لم يستغلها جيّدًا، لقد قام بترقية بعضٍ من قواشيطه إلى رتبة نبيٍّ ليستميلوا بقية القواشيط إلى صفّهم، إنّ البشر بهم حاجةٌ دائمةٌ لكسب المزيد وإذا جاءهم من يقنعهم بأنّ ما بيد غيرهم سيصبح لهم سيتبعونه دائمًا إذا ظنّوا أنّ النصر حليفهم وأنّ هناك قوّةٌ كبرى تؤيّدهم.

- لقد أرسل يهوه الكثير من الرسل.

- لكنّه فشل فشلًا ذريعًا لأنه اعتقد أنّ البشر يريدون أشياء روحيةً فقط، أما أنا بحركةٍ واحدةٍ وبترقيةٍ واحدةٍ استطعت أن أجعله يجلس ويندهش، لقد عرفت ماذا يريد البشر: يريدون كل شيء، يريدون أن يحصلوا على كل الخير في حياتهم وكلّ الخير بعد مماتهم، أرسلت لهم من يقول ما يريدون سماعه، تريدون إلهًا جديدًا خاصًّا بكم وحدكم هاكم... تريدون غنائم ما عند غيركم من القبائل والشعوب هاكم وبالحلال، تريدون نساءً وسبيًا هاكم، تريدون حكم الأرض باسمي هاكم، تريدون أن تعيشوا أبدًا وألّا تموتوا احصلوا على ذلك، تريدون مُتعًا لكم ولن يحصل عليها غيركم.

- لكن لم تنجح دعوتك هذه في البداية.

- نعم عندما قلّدت يهوه ومشيت على خطته في البداية، لكن عندما غيرت خطتي وبدأت أحصد الغنائم بدأ الكل يتبعني، كنت أولًا أدعو إلى الأخلاق فقط وهذا ما لا يستهوي إلا القليل، أما عندما أصبحت أوزع الغنائم وأحصل عليها لأتباعي بالحلال تهافتت عليّ الجموع وعندما عدّلت خطّتي إلى الانتشار في كل الأرض لم يقف أمامي أحدٌ وقتها.

- وكيف تغلّبتَ على بقية الآلهة وقتها؟

- فكرةٌ جديدةٌ أيضًا: من يموت في سبيلي لا يموت، هل ثمّة إلـٰهٌ عرض هذه الفكرة من قبل: من يموت في سبيلي يحصل على أيّ عددٍ من النساء؟؟

- لذلك كانت أفكارك ذكورية.

- طبعًا فلم تكن النساء ليساهمنَ في الحروب وإضافة المزيد من القواشيط، لم يكن وجودهنّ عندي مهمًّا ولا عند غيري من الآلهة، كل أفكاري كانت لاكتساب الذكور فهم الأداة الناجعة وقتها.

-لكن لا تنكر أنك فشلتَ في قهر يسوع!

وليد

- ليس تمامًا.

- كيف تفسّر أنه ما يزال يحتفظ بأكبر قدْرٍ من القواشيط على الأرض رغم أنه لم يعتمد أفكارك القتالية؟

-لا تنسَ أنه نزل بنفسه على الأرض وكانت هذه فكرةً جبّارةً لم يسبقه إليها الكثير كما أنني لم أكن قد جئت هنا في الأرض وقتها فقد كنت في رقعةٍ أخرى. وعندما جئت كان قد استطاع كسب العديد من البشر.

-لكنه الآن يمسك بمفاتيح اللعبة.

-ليس تمامًا لقد انسحب الكثير من أتباعه وأصبحوا محايدين.

-لكنّ هذا لم يكن بسببك أو بتخطيطٍ منك!

-لقد اهتدى إلـٰهٌ جديدٌ جاء إلى تلك الرقعة منذ فترةٍ قليلةٍ إلى فكرةٍ جديدةٍ لم يسبقه إليها أحد، إنه يحفّز البشر على القراءة والتفكير لكنه لا يكسب أتباعًا بقدر ما يُفقِد الآخرين أتباعهم.

-لقد اتّبعتم أفكارًا قديمةً ولم تغيّروها. فقد كسبتَ المعركة قديمًا عندما جئتَ بفكرٍ جديدٍ لاجتذاب القواشيط والآن تدور الدائرة ليأتي فكرٌ جديد.

-لا لن يأخذها مني بسهولةٍ، فأنا أمنع أتباعي من الاقتراب من الأفكار الجديدة وآمرهم بتكفيرها.

-لكني أرى الرقعة تتغيّر.

تصاعدت حدّة النقاش بيننا واجتذب النقاش بقية الآلهة، لقد اعتادوا ألّا يناقشهم أحد.

قلت: لكن ألا ترى أنّ لعبتكم هذه بلا نهاية؟

تقدّم منّي إلهٌ عرّفني بنفسه باعتزازٍ وشموخٍ قائلًا: أنا مردوخ، لقد أتيت إلى الرقعة قبل الكلّ. انظر أيها الإنسان! إنّ الآلهة لا تظهر على هذه الرقعة عندما تشاء بل عندما تكون البشرية مُهيّأةً لاستقبالها، لقد ظهرت على هذه الرقعة وتسيّدتُها فقط عندما ظهر الملك حمورابي، لقد استطعت الانتصار على كل الآلهة وقتها وتحوّلت من ابن إلهٍ إلى إلهٍ مُطلق القدرة والمعرفة في نفس الوقت الذي تمكّن فيه حمورابي من بناء العالم الأرضيّ واخترت مدينة بابل كأقدس قطعةٍ على الأرض وبنيت أيضًا بيتي على الأرض في أقدم مكانٍ في العالم (بابل)، لقد استفاد غيري ممّا جئت به ونسبوا إليّ أماكن أخرى نفس المزاعم، إنها الأقدم والأقدس، انظر إلى إبليس إنه لم يظهر أبدًا عندما كنتم تعتقدون بوجود آلهةٍ كثيرةٍ في نفس الوقت،

وليد

لم يكن الخير أو الشرّ يمثّل موضوعًا محيّرًا كما أصبح عندما اعتقد بعضكم في إلـٰهٍ واحد، ما دمنا نتصارع كآلهةٍ كان وجود الخير والشر ّمفهومًا فلا يغرنّك ما تسمعه من غيري فلكلٍّ زمانه ومكانه.

-هل تريد أن تقول لي أنكم القطع ونحن المحرّكون لها؟
-نعم عزيزي، الموضوع أكثر تعقيدًا.
تدخّل الله فجأة...
-لا تستمع لهذا المخبول! إنّ مرارة الهزيمة تصوّر له أفكارًا مجنونةً مثله. إنه لا يصدق أنه خرج من الرقعة.
-لكن أرى كلامه على قدْرٍ من الحقيقة فكلّ الآلهة تظهر في بقعةٍ من الأرض ويكون انتشارها جغرافيًّا. هل تستطيع أن تفسّر لي لماذا هذا التوزيع الجغرافيّ للأديان؟ لماذا لم تستطع أنت أن تكسب أي قواشيط مثلًا في أميركا الجنوبية أو أستراليا؟ لماذا كان بيتك في مكّة كما كان بيت مردوخ في بابل؟
- كما قلت لك لست وحدي على الرقعة.
- لكن هذه الأماكن دانت إلى غيرك.
-لكن لا تنكر أنها تحوّلت إلى غيري عندما استُخدم نفس أسلوبي في الحرب المُقدّسة فما زلت صاحب الريادة.
-لكن لهذا أيضًا لم تعد قادرًا على كسب المزيد من القواشيط عندما أصبحت الحرب المقدسة لعبةً قديمة، لقد توقّفتَ تمامًا عن اكتساب المزيد.

-لا بل زرعت أفكارًا عن التناسل والتوالد بكثرة فأصبحت أحصل على قواشيط إضافيةٍ باستمرار.
-لكن ألا ترى أنه نتيجةً لهذا الأفكار أصبح أتباعك أكثر فقرًا وجهلًا من غيرهم؟
-حتى يصبحوا دائمًا في حاجةٍ لي.
-لكن لماذا كل الآلهة الجديدة ذكورٌ بينما أرى العديد من الآلهة الإناث كن موجوداتٍ سابقًا على تلك الرقعة؟ لماذا اختفين فجأةً وتركن الرقعة لكم؟ دعني أذهب إليهنّ. تلفّت خلفي. لقد مللت النقاش في نفس الأمور، إنّ ما أقوله على الأرض أصبح هو نفسه ما أقوله هنا، لا يوجد فرق بينما في عقل البشر وما عند ربّ البشر، لم أعد أدري من الذي خلق من! ها هي إنانا إلهة الحبّ والخصب تجلس مع عشتار، ترى ماذا يتذكّران من الماضي؟ سُعدت كثيرًا بي، لم تكن تتوقّع أنّ هناك من يزال يتذكّرها، لقد خرجتْ منذ زمنٍ طويلٍ من الرقعة، أزاحها الذكور، تنهّدتْ وقالت: أنا عشتار، أنا الأوّل وأنا الأخر، أنا البغية وأنا القديسة، أنا الزوجة وأنا العذراء، أنا الأمّ وأنا الابنة، أنا العاقر وكثيرٌ هم أبنائي، أنا في عرسٍ كبيرٍ ولم أتّخذ زوجًا، أنا القابلة ولم أنجب أحدًا، أنا العروس وأنا العريس وزوجي من أنجبني، أنا أمّ أبي وأخت زوجي وهو من نسلي.

أثار صوتها الحزين أشجان الأخريات، وجدتُني مُحاطًا فجأةً وقد تجمعتْ حولي الإلـٰهات إيزيس وأفروديت وفينوس ونوت واللات والعزى ومناة. يبدو أنهن لم يتلقّين تحيَّة من إنسانٍ منذ فترة.

على مقهى الآلهة

وليد

وقفت وقلت: لم آتِ لتقديم القرابين. أجلستني أفروديت، لم أكن لأعترض، لم يكن أحدٌ في الحقيقة ليرفض، إن كل ما فيها يدعوك للتأمّل، ثم التأمّل ثمّ الاستسلام في النهاية. قالت بصوتٍ أنثويٍّ رائعٍ يليق بإلـٰهة: لا تنزعجْ لكن لم يعد يتحدّث إلينا أحدٌ منذ فترةٍ كبيرةٍ وسُعدنا عندما رأيناك تثور في وجه الآلهة الذكور.

- أرجوكنّ أنا لم آتِ للمشاكل. ما أنا إلّا إنسانٌ ضعيفٌ لا يملك حولًا ولا قوّة، لست طرفًا في هذه اللعبة بل مُجرّد قطعةٍ يتمّ تحريكها فلا تتوقّعا منّي أكثر من هذا.

قالت عشتار: لقد كنّا أوّل من بدأ هذه اللعبة، لم يكن في البداية أيّ ذكور. اندهشْت. قالت: لا تندهش! فعندما كانت البشرية في البداية لم تكن هناك حروبٌ ولا أطماعٌ ولم يظهر التنافس بين البشر، وقد كانت الأرض آنذاك أُمًّا للجميع تعطي بغير حسابٍ وكان خير الأرض مُشاعًا وعندها ربط الإنسان القديم بين أمّه الأنثى التي توفّر اللبن من ثديها وتخرج الإنسان من جسدها وتفيض عليه من مشاعرها بغير حسابٍ وبين ما يراه من الطبيعة التي ينهل منها بغير كدٍّ أو عملٍ فآمن بأنّ الإله الذي يعطي بغير انتظارٍ لا بُدّ أن يكون أنثى.

- وفيم كان تنافسكنّ إذا كيف كانت تجتذب كلٌّ منكنّ القواشيط؟

- لقد كنّا مسالماتٍ فقد خلقنا الكائنات الأخرى كالوحوش والضواري ليلجأ إلينا البشر، كان الإنسان يخاف من أبسط الأمور كالرعد والبرق والمطر فيحتاجني لكننا أبدًا لم ندعُ إلى القتال لكن عندما بدأ ينظر إلى ما في يد غيره عندما ذاق الطمع والرغبة في أن يكون هو أيضًا إلـٰهًا يستعبد غيره وبدأ يبحث عمّن يحقّق له ذلك ولم يعد يحتاجنا فقد احتاج إلى قائدٍ وإلـٰهٍ يحمي مصالحه الشخصية، يسنّ له القوانين ليأخذ ما بيد غيره، عندها ظهرت الآلهة الذكور ورويدًا رويدًا فقدنا كل ما لدينا من قواشيط.

وليد

- وكيف ترين الأمر الآن؟ هل سينتصر أحد؟

- نعم سينتصر ذلك الإلـه الجديد إلـه الفكر، إنه يمنح أتباعه النصر والريادة، إنه يتقدّم ببطءٍ ولكن انظر إنه لا يتراجع أبدًا، إنّ الآلهة القديمة بدأت تتساقط كما تساقطنا فقد ظهروا وأصبحوا غير قادرين على نصر أتباعهم، انظر ماذا يفعل الإلـه الآن ليحلّ مشكلةً كالسرقة إنه يقول لك «اقطع اليد» وإذا أردْتَ حلّ مشكلة الزواج في المجتمع يقول لك لا اختلاط امنع الإناث من أن يراهنّ أحدٌ وإذا سألته عن موقفه من معارضي أفكاره فسيقول لك «قاتلهم واقضِ عليهم» حتى يكون الأمر له أو لك لا فرق، إنه لا يحلّ ولكنه ببساطةٍ يلغي أطراف المشكلة حتى لتظنّ أنّ المشكلة ستُحلّ، إنه كمن يريد فكّ عُقدةٍ في حبلٍ فيأمر بمنع صناعة الحبال حتى يمنع وجود العُقد، ولكنّ إلـه الفكر بدأ يضع حلولًا حقيقيةً تجتذب الكثير من القواشيط.

تدخّلت هذه المرّة فينوس: هل تعلم أنّ كل هذه الآلهة الذكور كانوا أصلًا أبناء إلـهة القمر وعند جميع البشر هم أبناؤنا وانقلبوا علينا عندما أراد البشر ذلك؟

-ولماذا القمر؟ ويحٌ للقمر منكِ يا فينوس لو رآك البشر ما مدحوا القمر!

ضحكتْ في دلالٍ أُنثويّ: راحت أيّامي ولن تعود فلقد أصبحت الأحقاد والأطماع تملأ قلوب البشر كآلهتهم تمامًا، الإلـه يريد السيطرة بالحرب والقتل والاستعباد، فأين سأكون أنا؟ هل يجتمع الحبّ والطمع في قلبٍ واحد؟ فكلّما سألتَ أحدًا لماذا تراجع الهمّ سيقول لأننا تركنا الجهاد وأعداء الإلـه يعيشون بلا رادع... لا مكان لي على هذه الرقعة الآن.

-لو رآكِ البشر لندموا أشدّ الندم على ضياع حياتهم في تفكيرهم كيف يضيفون قواشيط جديدةً للإله، لكنكِ لم تكملي لي موضوع القمر لقد أخذني صوتكِ ودلالكِ بعيدًا عن الموضوع.

-ربط البشر قديمًا بين الإلـه الأنثى والقمر فالدورة الشهرية لهما متساوية، والأرض والخصب مرتبطان بالقمر والقمر يشرق من مكانٍ ويغرب في مكان، وكلّ يومٍ له شكلٌ جديد فيومٌ محاقٌ ويومٌ بدر، إنها المرأة يا عزيزي. وعندما جاء الرجل حطّم المرأة القمر فمردوخ إلـه بابل الأعظم حطّم رمز أمّه القمر ثمّ تحوّل إلى كبير الآلهة على يد حمورابي وزيوس الإغريقيّ سيّد البانثيون لم يكن سوى ابن الإلـهة الأمّ الكريتية الكبرى وتحوّل إلى الإلـه الأكبر عندما ثار على الأمّ رمز القمر، إنها الثورة على الأنثى المعطاءة ليبدأ عصر الذكر عصر المصالح القومية.

يبدو أنّ الحديث أثار الكلّ فبدأن يتكلّمن.

قالت اللات: هل تعرف أنني أيضًا كنت رمز القمر وكذلك مناة والعزى؟ حتى الآن ما يزال أتباع الله يحملون نفس رمزي الهلال، لقد حوّلوا اسمي إلى مُذكّرٍ واحتفظوا برمزي.

-حقًّا؟

وليد

- هل سألت نفسك يومًا ما سرّ وجود الهلال فوق المساجد؟ هل تعرف لماذا اختار قواشيطكم هذا الرمز بالذات؟
بدأت أتفهّم ولكني في شوقٍ لمعرفة المزيد.

-مسكينٌ أنت أيها الإنسان! عمرك لن يطول أبدًا لتعرف الحقيقة، ستفتّش عنها في كل مكانٍ وهي بداخلك، أنت الحقيقة الوحيدة في حياتك. اسأل نفسك، صارحها سترشدك.
التفتّ لأرى مصدر الصوت ووجدت إلـٰهين يجلسان سويًّا. قالت اللات: هذا بعل والذي بجانبه أيل، لقد كانا أسياد هذه الأرض ولكن كما تعلم يجلسان الآن يراقبان.
-لكني أراه نسخةً طبق الأصل من يهوه، إنهما كالتوأم.
ضحك أيل ضحكةً أفزعتْني: نعم نعم! كم أنت قويّ الملاحظة!
-عذرًا لا أجد في ذلك قوّةً فأنتما متطابقان ولستما متشابهين، هل أنتما من أمٍّ واحدة؟
-اقتربْ منّي! يبدو أنك ظريف! أيها الإنسان ألم أقل لك أنك مسكينٌ؟ ها أنت ترى الحقيقة بأمّ عينيك، فهل ستصدقّها؟
-أيّ حقيقةٍ تتكلّم عنها؟
-أنا أيل أو إيلوهيم أو اللهمّ أو يهوه لا فرق، إننا نتبادل الأدوار، الإنسان ملولٌ يخلق إلـٰهه الخاص، القاعدة هنا: لا تفقد القواشيط يا عزيزي.

-لا أفهم شيئًا! أرجوك! أنا إنسانٌ كما تعلم وليس لي في هذه اللعبة شيء، هل توضح لي؟
-هذا بعل لقد كان سيّد الأرض وتحالف مع عشتار، اكتسبا القواشيط إلى صفّهما بالمُتع الجنسية، لقد استمال البشر بفكرةٍ يصعُب أن يقهرها أحد: الجنس (الدعارة المُقدّسة). أصبح التقرّب إليه بالمُتع الجسدية، لم أعرف كيف أقهره في البداية حتى حدثتْ هزيمةٌ لملك كنعان وجه بعل في الأرض عندها أطلقت قشاطًا وحوّلته إلى نبيٍّ اسمه إبراهيم، لقد كانت حركةً قلبت معها الموازين.

ضحك بعل: لا تذكّرني بالماضي لقد أصبتني في مقتل، لا بأس! فأنت الآن بجانبي تكلّمْ عزيزي فنحن الآن سواء.
لم تعجب كلماته أيل بالرغم من الصداقة الظاهرة إلّا أنهما يحملان حقدًا دفينًا أدركا أنه لن يقدّم أو يؤخّر الآن فاستسلما للواقع.

تنهّد أيل: إبراهيم كان ورقتي الرابحة وكنت ورقة إبراهيم الناجعة.
قلت: لكنني أعلم أنّ إبراهيم لم يكن في أرض كنعان.
-نعم أيها الإنسان، لقد كان إبراهيم من بلاد الرافدين من أور الكلدانية، هاجر هو وقومه إلى كنعان ومعه ابن أخيه لوط، عندما أتى أرض كنعان كان أتباعي قليلين جدًّا. فمن كان ليؤمن بي وبتزمّتي أمام من يؤمنون ببعل؟! عند الهزيمة ظهر إبراهيم يقول أنّ الهزيمة نتيجةٌ للانحلال الذي ساد وأنّي أيل سوف أنتقم.

وليد

بعد الهزيمة لم يكن أمام أتباع بعل إلّا أن يختبروا أيل. ودعا إبراهيم إليّ ودعاني إلـهًا واحدًا بلا منافسٍ وجرّدني من زوجتي أمّا بقية الآلهة التي كان يؤمن بها أهل كنعان معي فقد أبقى عليها على شكلٍ جديدٍ سمّيناه الملائكة ونسبوا أسماءهم إليّ، فبدلًا من إلـه المطر أصبح الملاك ميكائيل، وبدلًا من إلـه الموت تحوّل إلى عزرائيل وأيضًا جبرائيل وميخائيل وغيرهما من الآلهة التي حوّلها إبراهيم إلى ملائكةٍ تقتبس من نوري بل وسُمّي ابنه إسمائيل.

- ولماذا استمرّت هذه الأسماء حتى الآن لأتباع يهوه ويسوع والله بالرغم من غيابك من الرقعة؟

يبدو أنّ الموضوع جعله يشعر بالزهو فانتشى وقال أيل: أيضًا حوّلوا بعل إلى شيطانٍ لعينٍ سموه بعل زبول. ثمّ انتابته نوبةٌ من الضحك وقال: ما أغباكم أيها البشر! أصبح بعل معبودكم الأوّل شيطانًا لأنكم هُزمتم في معركة!

انتفض بعل: ما لي أراك تضحك وكأنك تملك الأرض وما عليها؟!

قال أيل: ألم تسمع قول هذا البشريّ أنّ أتباع الله ما زالوا يستخدمون ألقاب الآلهة التي حوّلها إبراهيم إلى ملائكة؟... اصمت يا شيطان!

قال بعل: هل صدقت نفسك؟؟ أنا شيطان؟!

قلت: اهدؤوا يا جماعة! وحّدوا الله!

نظر لي أيل وبعل باستغرابٍ، وقال أيل: أنا أوّل من وُحّد في الأديان.

- لا عليك! لم تقل لي حتى الآن ما علاقتك بيهوه.

تدخّل هنا بعل: دعني أقول لك كيف انتهى أمر هذا المغرور بنفسي، بدأ الموضوع عندما قرّرت المرأة زوجة إبراهيم سارة طرد هاجر، لقد غضبت من هاجر زوجته الثانية وطردتها إلى صحراء النقب في بئر سبعٍ هي وابنها إسماعيل وأبقت ابنها اسحـٰق في أرض كنعان وسرعان ما اختلف ابني اسحق ليستقلّ ابنه يعقوب وينصب نفسه راعيًا لأيل وسمّى نفسه إسرائيل أي المختار أو المصطفى من أيل، ومن سلالة إسرائيل جاء موسى في وقتٍ كان أتباع أيل في حالةٍ يُرثى لها من الذلّ والاستعباد، ودخل مع أيل الكثير من الآلهة في أرض مصر. كان موسى الموحّد الوحيد، ولقد سئم قوم موسى عبادة أيل لأنه تركهم أذلّاء، عندها ظهر يهوه وحوّل موسى إلى نبيٍّ مخاطبًا إيّاه باسمي.

-أنا ربّ آبائك إبراهيم وإسحـٰق ويعقوب.

-لقد علم موسى أنّ لا فرق بين أيل ويهوه ولكن كان أيل قد فقد بريقه، تغيّر الاسم وبقي المضمون لذلك لا فرق بينهما كما ترى. أصبح اسم أيل إيلوهيم أحيانًا ويهوه أحيانًا أخرى. أمّا أبناء إسماعيل فانتشروا جنوبًا حتى جزيرة العرب وحملوا معهم التعاليم الأيلية التي ورثوها عن إبراهيم وكما أصبح إيلوهيم يهوه عند موسى، صار نفسه يُنطق اللهمّ عند أبناء إسماعيل ونادى بها أبناء إسماعيل أيل «لبّيك اللهمّ لبّيك». هل فهمتَ لماذا هذا التشابه بين الكلّ؟

-فهمت لكنّ الأمور متداخلةٌ وكثيرة. هل استقرّ الأمر ليهوه بعد ذلك؟

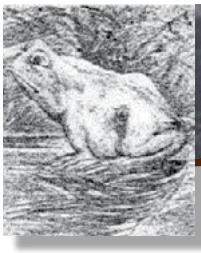

وليد

انتشى بعل: لا كنت له بالمرصاد فعندما عاد موسى ليدخل الأرض في كنعان كنت قد استعدت زمام الأمور مرّةً أخرى وحتى بعد دخول بني إسرائيل كنت مسيطرًا، الملك سليمان بنى لي معبدًا كما بناه ليهوه، كان قائدًا مُحنّكًا يعرف كي يرضي الجميع.

دهشت وقلت: هل عبدك سليمان؟ هذه كذبةٌ منك.

-لا تكذب الآلهة عزيزي كما أنّ هذا موجودٌ في كتب أتباع يهوه.

-هل لك أن توضح؟

قال بعل: بنى سليمان بيتًا لأيل، فقد كان أيل يطلب دائمًا من داود أبوه أن يبني له بيتًا ليسكن فيه بيت أيل الحرام لكنّ داود لم يعطه أكثر من خيمةٍ متنقّلةٍ لسكناه وذلك لأنّ اليهود كانوا لا يستطيعون البناء، ولم يكونوا أصحاب حضارةٍ لكن سليمان كان ملكًا سياسيًّا مُخضرمًا استعان بملك صور المدعوّ حيرام وبنى الهيكل الذي قدّسه من بعده أتباع أيل أو يهوه ولكي لا يفقد سليمان ودّ أتباعه عبد بعل وعشتروت، وتقدّم إليهم بالقرابين وهذا ما ظهر واضحًا بعد موته فانقسم بنوه إلى قسمين: قسمٌ يعبدني وهم الأكثرية، وقسمٌ اتّبع يهوه وهم الأقلية واستمرّ الشدّ والجذب بين أتباعي وأتباع أيل ويهوه، تارّةً أتقدّم، تارّةً يتقدّم، وتارّةً نتصالح.

-أنت أنت تعال هنا! دعنا نضحك قليلًا، قال أيل هذا فجأةً عندما لمح إلـٰهًا يتحرّك لم أتبيّن ملامحه في البداية. انتظرت أن أتبيّن القادم، إنه إبليس.

قال أيل: تعال يا إبليس اجلس. غمزني وقال: إنه هنا مزحة القوم.

قلت متعجّبًا: إبليس!! هو مزحتكم؟؟! هل تريد أن تقول لي أنه عبيط؟

ضحك أيل: نعم وأهبل أيضًا.

ضربت كفًّا على كفٍّ وقلت له مرّةً أخرى: إبليس؟

قال أيل: تمهّل. جاء إبليس.

انتابتني نوبةٌ من الضحك عندما رأيت وجهه يقترب منّي، لا أدري بدا لي وهو يمشي كأنه إسماعيل ياسين، وتعمّدت ألّا أنظر إليه مباشرةً حتى لا ينتبه إلى ضحكي، عشت عمري كلّه أعتقد أنّ إبليس هذا داهية.

أحسّ بعل أنني في استغرابٍ شديدٍ فقال لي: لماذا تتعجّب؟؟

قلت: ألا تدري؟ عشت عمري كلّه في خوفٍ منه، كلّما نصحني أحدٌ كان يحذّرني من ألاعيبه ومكره ثمّ تقولان لي أنه في الحقيقة عبيطٌ.

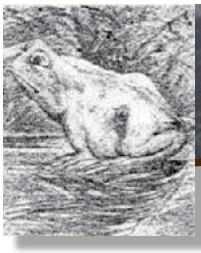

وليد

وعندما رأيته يمشي ورأيت تعبيرات وجهه البلهاء انتابتني نوبةٌ من الضحك لا أدري هل هي على نفسي أم عليه.
قال بعل: لم يطمح هذا المسكين أبدا للصراع على القواشيط بل لم يحصل على أيّ قشاطٍ في حياته بل كان دائمًا موجودًا على الرقعة كخيال مآتة، لم ينتبه إليه أحدٌ في البداية، لكن عندما بدأ الصراع بيني وبين أيل كان أيل يريد أن يكون إلـهًا ديكتاتوريًّا لا يعارضه أحدٌ لذلك نادى بالتوحيد وأنّ كل الأمور راجعةٌ إليه فهو الأوّل والآخر والقادر والمسيطر على جميع الأمور ومُجرياتها لكنّه نسي في البداية أنّ الشرّ موجودٌ وعندما سأله أتباعه من أين يأتي الشرّ لهم وهم أنصاره كيف يؤذيهم بالمرض والهزيمة وهو قادرٌ على منعها بل لماذا خلقها أساسًا وهو الخير خاطبوه قائلين: إذا كنتَ يا إلـهنا الوحيد خيرٌ محضٌ، فمن أين أتت الشرور في هذا العالم؟ تكرّر هذا مع يسوع ومع الله وأهورامزدا ولم يجدوا معتوهًا غير هذا ليقبل هذا الدور، الشرّ المحض، من غيره لكان الأمر عسيرًا أن يكونوا بلا شريك.

سمعت حوارًا بدأ بين أيل وإبليس، أحببت أن أستمع لإبليس هذه المرّة بنفسي دون أن يجري منّي مجرى الدم، تقدّمت مقتربًا منه في ثباتٍ مُصطنعٍ فما زالت نفسي تهابه رغم بلاهته الظاهرة.

- مرحبًا إبليس.

-أهلًا بك. من أنت؟ أراك تتحاور مع الكلّ.

-لا عليك. زائرٌ من الأرض.

انفرجت أساريره عندما سمع سيرة الأرض وكأنه ريفيٌّ تائهٌ في المدينة وجد من يعرفه فجأة.

-من أبناء آدم؟

- نعم هل رأيته؟

-من؟؟

-آدم أبي.

- لم أره في حياتي.

- إذن لماذا تسألني عنه؟

- أودّ أن أعرف من هو آدم الذي يتكلّمون عنه في الرقعة وسُعدت أيّما سعادةٍ عندما قلتَ لي أنك من أبنائه.

-ألستَ السبب في خروجه إلى الأرض بعد أن كنّا في الجنّة؟

ماذا أفعل بك الآن يا سبب شقائي؟

-أية جنّة؟ وأية أرض؟ وهل بيدي أن أفعل شيئًا دون إذن الآلهة؟ إنني لعبةٌ في يد الكلّ: افعل يا إبليس! حاضر. وسوس يا إبليس! حاضر. ارقص يا إبليس! حاضر.

وليد

-إذًا ما دورك في الرقعة؟ ولماذا تجلس هنا؟

-دخلت إلـهًا في البداية مع مزدا لكننا لم نصمد على اللوحة كثيرًا، فخرج مزدا مذمومًا مدحورًا. أمّا أنا فعلمت أنّ قدراتي لا تتجاوز ما أنا فيه الآن، وعندما عرض يهوه أن أشاركه الدور على الرقعة عرفت أنني لا أملك خيارًا. قل لي من هو آدم هذا الذي يلعنني في كل مناسبةٍ وأنا لا أعرفه.

-آدم هذا، هو القشاط الذي يتصارع عليه الآلهة ولكي يحصلوا على المزيد منه كانوا يخيفونه بك، وأنه لو اتّبعهم لأنقذوه من براثنك.

-براثني أنا؟؟! وماذا كنت سأفعل بهم؟

-الغريب أنّ أحدًا لم يقل ماذا ستفعل بهم، والأغرب أنهم هم أنفسهم يتوعّدونه بالعذاب الأبديّ معك في النهاية.

-ما أنا إلّا كخيال مآتةٍ لا روح فيّ لكنني أشبه الإلـه من بعيد، أتكرهونني إلى هذا الحدّ وأنا لا أملك لكم ضرًّا ولا نفعًا ولا أُرزِق ولا أمنع رزقًا ولا أنصر ولا أمنع نصرًا؟

-نعم، بل أنت أصبحت كعبيط القرية الذي يرجمه الصبية بالحجارة ولم يعرفوا عنه شيئًا.

-ولماذا يكرهني أبناء آدم إذن؟

وقفت لفترةٍ أبحث عن إجابةٍ فهو مثلي يلعب دوًرا ولا يملك ضرًّا. هل كان بإمكانه أن يقول لا؟ انتبهت على صوت الله يأتيني....

-أين كنت؟ بحثت عنك.

-كنت أتجوّل بين اللاعبين. إنهم جميعًا متحمّسون لجمع القواشيط ما عدا إبليس.

رمق الله إبليس وقال له: ماذا تفعل هنا؟ ألم أوكل لك مجموعةً من القواشيط كي تؤزّهم أزًّا. ارتبك إبليس وقال: نعم أرسلت عليهم خيلًا ورجالًا كي أضلّهم عن سبيلك.

استعجبت وقلت للّه: هل تكسب القواشيط أم تضلّها؟؟

ابتسم ثمّ اعتدل وقال: تلك أصول اللعبة يا عزيزي، أضلّ من أشاء، وأهدي من أشاء، كي يكون هنالك من يعتقد أنني اخترته دونًا عن الباقي فيفرح بي ويبذل ماله ونفسه من أجلي فأحصل على المزيد، أضحّي بواحدٍ كي أحصل على عشرة.

-وماذا يفعل إبليس؟

-لا شيء. أنا أضمن له دورًا على الرقعة وهو يتحمّل كل ما يلعنه البشر من أفعالي.

-هناك سؤالٌ يشغل بالي: لماذا توقفتَ عن ترقية بعض القواشيط إلى رتبة نبيّ؟

ضحك كثيرًا: نعم لقد أصبح البشر أكثر كثيرًا لكنّ المشكلة لم تعد في النبيّ فقد تطوّرت مفاهيم القواشيط كثيرًا ولم تعد هذه اللعبة تنطلي عليهم كما كان يحدث في الماضي.

تدخّل إبليس: لكنّك حاولتَ تكرار هذا الأمر مع الباب والبهاء وعندما فشلوا ألصقتهم بي وكأنهم كانوا من أتباعي.

قال الله: اصمت أنت. لا دخل لك بهذا الأمر، ما أنت إلّا منفذٌ لأفكاري ولو تكلّمتَ لأهبطكنّ في الأرض مع هذا القشاط.

على مقهى الآلهة

وليد

قلت: مرةً أخرى؟

قال: وهل حدث أوّل؟

قلت: ألم تهبط آدم مع إبليس في الأرض قبل ذلك؟

ابتسم إبليسٌ ببلاهته وقال: أنا أيضًا سمعت ذلك.

أجاب الله: آه! هذه قصّةٌ قديمة، أنت تعرف أنّ القواشيط مشغولةٌ بأمر مصدرها ومصيرها بعد الموت، وأنا أحكي لهم حكاياتٍ مسليةً كي لا يفكّروا كثيرًا، إنّ التفكير الكثير بتلك الأسئلة «كيف» و«لماذا» يفتح عقولهم على أمورٍ لا أريد أن يفكّروا فيها لأني لا أريد أن أكرّر نفس خطأ يسوع.

قلت: وما هذا الخطأ؟

قال: ترك قواشيطه واستهتر بهذه الأسئلة، ففكّر القواشيط وعلموا مدى جهلهم وأنهم كانوا يعيشون خدعةً كبيرةً فبدأوا يتركونه.

قلت: وماذا تفعل أنت؟

قال: أحاول أن أجعل من يفكّر من أتباع إبليس وكلّ ما يقولونه كفرٌ وبذلك أؤجّل الوقت. لكن، حقيقةً الآن لم أعد أدري ما العمل، أتباع يسوع القدامى اخترعوا أدواتٍ تفوق قدرات هذه الآلهة مجتمعةً ولم أعد أعرف إلى أين سينتهي الأمر وأتباعي أصبحوا مثلًا للضعف والجهل والتخلّف ولم أعد قادرًا على مساعدتهم أو إيهامهم كما كنت أفعل قديمًا.

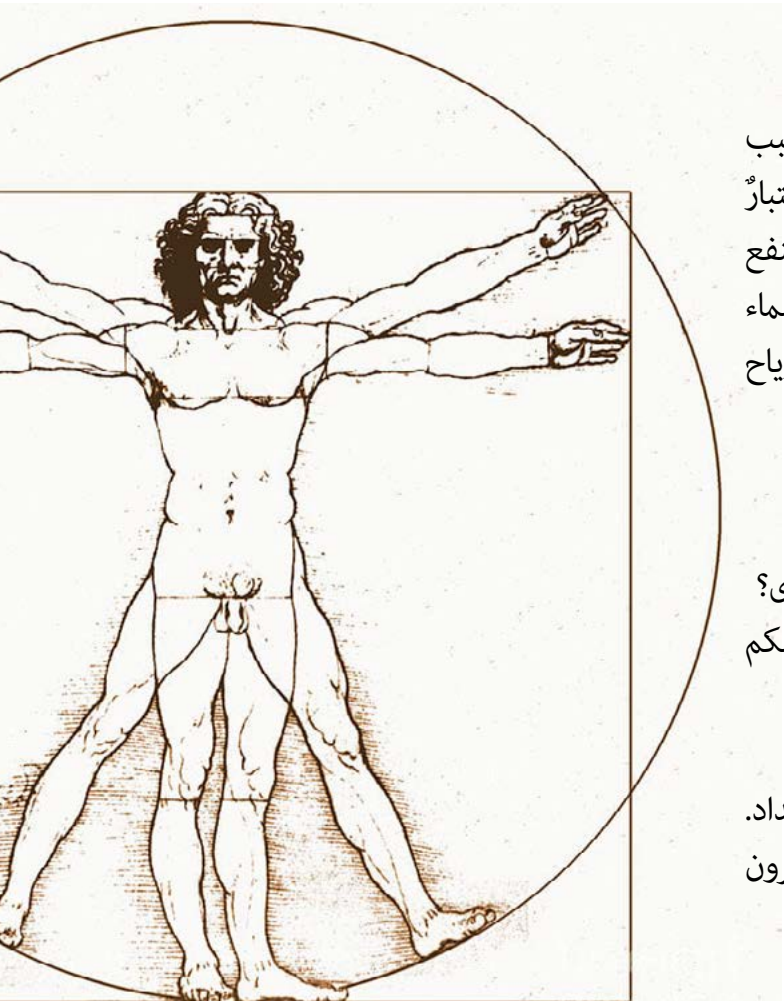

-وماذا كنت تفعل قديمًا؟

-كنت أستغلّ جهلهم، فإذا انتصروا قلت لهم أنّ هذا النصر بسبب إرسالي لملائكةٍ تحارب معهم وإذا هُزموا قلت أنّ هذا ابتلاءٌ واختبارٌ وإذا قامت ريحٌ أوهمْتهم أنني من أرسلتها، أمّا الآن فلم تعد تنفع هذه الأمور، أصبح للقواشيط الأخرى ملائكةٌ حقيقيةٌ تطير في السماء وأصبح عندهم أجهزة اختبارٍ حقيقيةٍ تعلم ظروف الجوّ والرياح وأصبح لديهم مقاييس حقيقيةٌ للاختبار.. ساعدني.

قلت: أنا؟؟؟ وهل أملك من الأمر شيئًا؟

-قال لي: بصفتك من القواشيط كيف أستميل البشر إلي مرةً أخرى؟

-الموضوع بسيطٌ، ولكن من يقدر على ذلك؟ لم يستطع إلـٰهٌ منكم أبدًا أن يهب للبشرية: العدل , الصحّة، الأمان، احترام الإنسانية...

لذلك كلكم فشلتم، كنتم سببًا في الحروب والاستعباد والاستبداد. أرجعني حيث كنت، إنكم تلعبون بمشاعرنا وأحاسيسنا ولا تفكّرون في احترام إنسانيّتنا.

كلكم خاسرون. كلكم خاسرون. كلكم خاسرون!

المزدري

الثمن الذي دفعته لتركي الإسلام

وليد الحسيني

الكتاب وثيقة مهمة يروي فيها وليد الحسيني قصة المعاناة التي مر بها من جراء تركه للإسلام وجهره بذلك، بدءًا من تساؤلات نمر بها كلنا إلى نقده الساخر للدين، فسجنه وتعرضه للتعذيب وانتهاء بلجوئه إلى فرنسا حيث لا زال يعمل بدأب في مشروعه الفكري. ظهر كتابه «المزدري» بالفرنسية تحت عنوان Blasphémateur ومؤخرًا تمت ترجمته إلى الإنجليزية بعنوان Blasphemer، وهو مترجمٌ أيضًا إلى البولندية والدنماركية. النسخة الإنجليزية موجودة على متجر أمازون Amazon.com

مسيلمة رحمن اليمامة...
وما أدراك ما الرحمن!

سلسلةٌ من أربعة أجزاء نشرنا جزئيها الأولين معًا في العدد 86، ثم الجزء الثالث في العدد 87، والآن نقدم الجزء الأخير.

الجزء الثالث: منهجه، تحالفاته، حروبه ونهايته.

التاريخ يكتبه المنتصر، لكن ذلك لا يمنع تسريب ومرور بعض الأخبار الصحيحة والصائبة، وإنْ كانت صعبةً في الإيجاد وتتطلّب البحث الطويل المتأنّي، والكثير من الاجتهاد والصبر.

منهج مسيلمةَ في نشر دينه

مصطفى حجّي

مسيلمة رحمن اليمامة...

الجزء الثالث والأخير:

منهجه، تحالفاته، حروبه ونهايته.

مصطفى حجّي

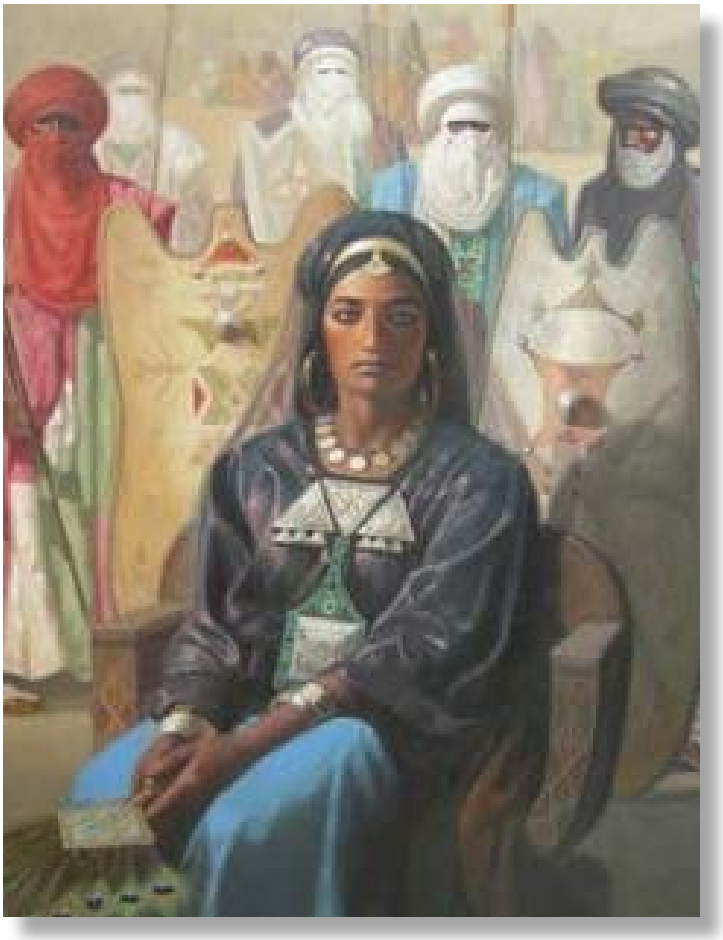

منهج مسيلمةَ في نشر دينه

لم تذكر كتب التاريخ الإسلامي كيفية انتشار دين مسيلمة وهي تخلوا تمامًا من أخباره، رغم أن تأثيره كان ممتدًّا ومتوَسِّعًا في شرق وشمال الجزيرة العربية خاصّةً بعد أن أقام مسيلمة تحالفاته مع سجاح وبني تميم...

وأنا هنا أقول «تأثيره» لأننا لا نجد في مصادر المسلمين وكتب تاريخهم أنه غزا قبيلةً أو قومًا أو مدينةً، ولا نجد أنه أقام أي حربٍ أو معركة، بل على العكس تمامًا، قُبيل تحالفه مع سجاح تُقرّر سجاح أن تُحاربه وقد قادت جيشًا كبيرًا فينجح مسيلمة بجرّها إلى إقامة تحالفٍ معه، بل إن مسيلمة نجح في جعل سجاح تتنازل له عن النبوة المزعومة واقترحت عليه أن يتزوّجها حيث قالت:

«إن مثلي لا يجري أمرها هكذا، ولكن إذا خرجت اعترفت لك بالحق، واخطبني إلى قومي فإنهم يزوّجونك، ثم أقود بني تميم معك»، وقالت أيضًا: «أن مسيلمة حينما اجتمعت به قرأ عليها ما نزل عليه من الوحي فوجدته حقًّا، فقالت له: «قد سلّمت الأمر إليك»[1].

كما نجد أن مسيلمة -حسب المصادر الإسلامية- قد عرض على محمدٍ بن عبد الله أن يتحالف ويتقاسم النبوّة معه لكن محمّدًا رفض ذلك...

هذان الحدثان ـ تحالفه مع سجاح ورغبته في التحالف مع محمد - يمكن أن يكونا مفتاحًا لقراءة منهج مسلمة الحنفي في الانتشار، فالرجل يتبع منهجًا خاصًّا بين أحناف الجيل الأول باستخدام (التأثير وليس الفرض) في نشر الدعوة لعبادة الرحمن، وهو كان أيضًا أسلوب محمدٍ في مكة في بدايات ادّعائه للنبوة، حيث كان يتبع شعار «لا إكراه في الدين»*، ثم انقلب لاحقًا على هذا المنهج عندما أصبح في يثرب (حاكمًا) مطاعًا وأصبح شعاره «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله...».

1- الفخري:75-74.

* تعتبر هذه الآية مدنية، لكن روحها تمثل حال محمدٍ في الفترة المكية، وهي آيةٌ يرى مسلمون عديدون أنها منسوخة بآية مثل «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله...». [تحرير المجلة]

مسيلمة رحمن اليمامة...

الجزء الثالث والأخير:

منهجه، تحالفاته، حروبه ونهايته.

مصطفى حجّي

ولقد ظل مسيلمة على منهجه الخاص حتى بعد أن أصبح لديه من الاتباع ما يمكن أن يغزو به أماكن كثيرةً، بل كان من الممكن أن يغزو يثرب ومكة، لكن مسيلمة لم يفعل هذا.

وحتمًا يبدو أن منهج مسيلمة هذا، التأثير، قد كان ناجحًا، فقد استطاع أن يحوز على ولاء اتباعه تمامًا، فالاتباع حتمًا سيكونون أقل إيمانًا مما لو كان دينهم قد فُرِض عليهم فرضًا، والذي يدعم استنتاجي هذا هو رفض بني حنيفة المساهمة في حروب الردة مع المسلمين بعد مقتل مسيلمة، فقد اكتفوا بمنع اليمامة من ساكني نجدٍ وتهامة، ورفضوا أن يصطفوا مع ثمامة[2].

هذا على عكس منهج محمدٍ الذي اعتمد على الغزوات والفَرض (لا التأثير)، فما كان مِمن اتّبعوا دين محمّدٍ فرضًا إلا أن تركوا الإسلام فور سماعهم بموته، وقد ذكرت كتب المسلمين بأن غالبية من اتّبعوا دين محمّدٍ في الجزيرة العربية قد ارتدّوا، ولم يبقَ على دين محمدٍ إلّا يثرب «المدينة» ومكّة، بل إنه حتّى مكّة كادت أن ترتد.

صِراع التنبّؤات

إن خبر رغبة مسلمة الحنفي في إقامة تحالفٍ مع محمدٍ بن عبد الله يكشف لنا الصراع الخفي بين النبوءات التي كانت سائدةً في وقتٍ واحدٍ بتلك الفترة، والتي تمثّلت في كلٍّ من:

- نبوءةٌ في اليمامة (مسلمة الحنفي) وهي أقدم النبوءات، وقد تلخّصت بالدعوة إلى عبادة (الرحمن)، واليمامة أو العروض التي تشمل شرق الجزيرة العربية بالكامل، وقيل أنها العروض لاعتراضها بين نجدٍ واليمن[3]، وكان العلاء بن الحضرمي «وقد ولّاه محمدٌ على البحرين ولم يعزله أبو بكر»[4] كان يردد نصوص مسلمة بصفتها نتاجًا حنيفيًّا حتى نهاه أبو بكرٍ عن ذلك بعد أن تم القضاء على نبوءة اليمامة بقتل مسيلمة وإبادة أتباعه زمن أبي بكر.

- نبوءةٌ في الحجاز (مكة ـ يثرب - الطائف) (محمدٌ بن عبد الله) بدأت بالدعوة إلى عبادة الله ثم أدخلت الرحمن ضمن منظومتها فأصبح الله هو الرحمن أيضًا، «ولقد مات محمدٌ وهو نبي الحجاز فقط»، ويمكن الاستدلال على ذلك مما جاء في وصيّته: أخرجوا يهود الحجاز[5]، بينما كان له أتباعٌ في اليمن وفي العروض ويُشكّلون أقليةً.

2- كتاب الردة:239.
3- الأدب العربي وتاريخه:23.
4- جمهرة أنساب العرب:461.
5- المسند للشاشي: 298.

مصطفى حجّي

- نبوءةٌ في اليمن (عبهلة العنسي)، تم القضاء عليها قبل وفاة محمدٍ بن عبد الله عن طريق الاغتيال[6]، ورد عن العنسي أنه كان كاهنًا، يسبي قلوب من سمع منطقه، وُلِد في خبّان ولم يبقَ من نصوصه إلّا جُمَل تُنسب في الأعم الأغلب إلى مسيلمة الحنفي...ياسي: 20).

إضافةً إلى هذه النبوءات كانت هنالك نبوءاتٌ متأخّرة (أو هذا ما ادّعته كتب الأخبار الإسلامية) مثل سجاح في بني تميم وتغلب، وطلحة بن خويلد الأسدي في بني أسدٍ وغطفان وفزارة[7]، وقد سمّته المؤسسة الإسلامية «طليحة» تصغيرًا له أسوةً بمسيلمة، ويبدو أنه كان يدعو أيضًا إلى عبادة الرحمن فقد ورد أن «جعونة بن مرثد الأسدي» قال مخاطبًا بني أسد:

وأقسم بالرحمن أن قد غويتم
بني أسد، فاستأخروا أو تقدموا
فإنّي وإن عبتم علي سفاهةً
حنيفٌ على دين النبي ومسلم[8]

من تيار الحنيفية في شبه الجزيرة انطلق الأنبياء العرب، لذا كانت الحنيفية هي الخيمة التي يتحركون تحتها، ولهذا نجد تقديم الحنيفية على الإسلام في المتبقي من المحاججات كان سائدًا أثناء الصراع الذي تم حسمه في النهاية لصالح المسلمين فأصبح الاكتفاء بذكر الإسلام دون الحنيفية. يمكن تلمُّس نمو الحنيفية إلى الإسلام من خلال قول «أُمية بن أبي الصلت» أمام زيد بن عمرو بن نفيل:

«كل دينٍ يوم القيامة -عند الله- سِوى الحنيفية زور».

فإذا تتبّعنا ذلك في نصوص القرآن وجدنا ورود «حنيفًا مسلمًا» بتقديم الحنيفية باعتبارها إطارًا أو أساسًا، بينما الإسلام كفرعٍ منها، حتّى أصبح فيما بعد «الدين عند الله الإسلام»...

ولم يكن في البداية ثمّة تنافسٌ بين هذه النبوّات، على العكس تمامًا، كانت هناك تحالفاتٌ خفيةٌ على تقاسم الأرض يوم كان محمدٌ بمكة (يمكن اعتماد رسالة مسلمة الحنفي سندًا لهذا الرأي)، ثم أن النبوءات كلها كانت تجري ضمن مجرى الحنيفية العام، كان الجميع حنيفًا، وكان الاختلاف طفيفًا، ربّما في عدد الصلوات وطريقة أدائها،

6- الاغتيال السياسي: 20.
7- الردة: 100.
8- كتاب الردة:116-115.

مسيلمة رحمن اليمامة...

الجزء الثالث والأخير:

منهجه، تحالفاته، حروبه ونهايته.

مصطفى حجّي

فعند طلحة بن خويلد «أن الله لا يحتاج إلى تعفير وجوهكم، وفتح أدباركم، ولا يريد منكم ركوعًا ولا سجودًا، ولكن يريدكم أن تذكروه قيامًا وقعودًا» (كتاب الردة: 134)[9]، أو ربّما اختلفوا في كيفية الصيام أو في عدد أيّامه فقد ورد عن مسلمة الحنفي أنه قال مخاطبًا قوم سجاح «أتصومون يومًا، وتكلفون يومًا» أو ربّما اختلفوا في كيفية الصيام أو في عدد أيّامه فقد ورد عن مسلمة الحنفي أنه قال مخاطبًا قوم سجاح «أتصومون يومًا، وتكلفون يومًا» (تاريخ الرُّسُل والملوك: أحداث سنة 11)[10].

إلا أنّ احتواء محمّدٍ لمركز الجزيرة بعد فتح مكّة، أدّى إلى نموّه كقوّةٍ ساسيةٍ تُهدِّد أمن القبائل والنبوءات الأُخرى.

تحالف النبوءات

تزوّج مسلمة الحنفي من سجاح نبية بني تميم وتغلب، وكانت قد سارت إليه، وسلّمت عليه بالنبوّة، وقالت: «بلغني أمرك، وسمعت نبوّتك، وقد أقبلت عليك، وأحببت أن أتزوجك»[11]. وأنها بعد أن استمعت إلى سُوَرٍ من قرآن مسيلمة قالت مؤمنةً به: «أشهد أنك نبيّ، قال: «هل لكِ أن أتزوجكِ فآكل بقومي وقومكِ العرب»، قالت: نعم»[12]، بينما يذكر العسكري أن مسلمة قال لسجاح: «هل لكِ أن تزوجيني نفسكِ، فيكون المُلك بيننا، ونُخفِّف عن عشيرتنا»[13]؟ وأعتقد أن رواية العسكري أكثر قربًا لمنهج مسلمة الحنفي، فالفرق شاسعٌ ما بين «آكل بقومي وقومك العرب» وبين «نخفّف عن عشيرتنا».

كان للزواج بُعدٌ سياسيٌ أيضًا، فهو تحالفٌ ثنائيٌ ضد طموح محمدٍ بن عبد الله وخليفته أبي بكرٍ الصديق بالانتشار على حساب النبوءات الأخرى الموجودة في شبه الجزيرة، يمكن تلمّس ذلك من نص مسلمة الحنفي: «إن بني تميم قومٌ طُهْرٌ لقاح، لا مكروه عليهم ولا إتاوة، نجاورهم ما حيينا بإحسان، نمنعهم من كل إنسان، فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن»(14)، وأُحبُّ التركيز على جملة «نمنعهم» فإنها تُقِرُّ الدفاع ولا تُقِرُّ الهجوم، وهو ما تم فعلًا فقد تراجعت سجاح عن مشروعها في غزو يثرب، وهذا يُسقِط رواية الطبري «آكل بقومي وقومك العرب»، ويثبت رواية العسكري «نخفّف عن عشيرتنا».

9- كتاب الردة: 134.
10- تاريخ الرسل والملوك: أحداث سنة 11.
11- الردة: 170/171.
12- تاريخ الرسل والملوك: أحداث سنة 11.
13- الأوائل: 292.
14- تاريخ الرسل والملوك: أحداث سنة11.

مسيلمة رحمن اليمامة...

الجزء الثالث والأخير:

منهجه، تحالفاته، حروبه ونهايته.

مصطفى حجّي

ويبدو أن الرسالة التذكيرية من مسلمة الحنفي إلى محمدٍ بن عبد الله التي يقول فيها: «لنا نصف الأرض ولقريشٍ النصف، إلّا أن قريشًا قومٌ يعتدون» -في بعض المصادر إنها كانت جزءًا من قرآن مسلمة- يبدو أنّها جعلت محمدًا يفكّر بغزو الشمال، فاتّجهت عينه إلى خارج شبه الجزيرة، حيث (مؤتة) دون أن يفكّر بالانتشار شرقًا حيث كان النصف الذي يتولّاه مسلمة الحنفي، بل إن محمدًا لم يفكّر باغتياله كما فعل مع عبهلة العنسي في اليَمن، وهذا ما يدفعني إلى التشكيك بصحّة اتهام محمدٍ له بالكذّاب، بل حتّى التشكيك بصِحّة رد محمدٍ بن عبد الله، وأن قول مسلمة: «لنا نصف الأرض ولقريشٍ النصف» هو جزءٌ من قرآنه فعلًا، وأنّ محمّدًا كان معترفًا بهذا.

حروب مسيلمة مع المسلمين بعد موت محمد

لمْ يَرِد في كتب الأخبار أنّ مسلمة الحنفي حارب قومًا أو غزا غزوةً، على العكس تمامًا، كان يسعى إلى التحالف مع أي جهةٍ يمكن أن تهدد أمن اليمامة، هذا ما ذكره المؤرخون في تحالفه مع سجاح، وقد كانت تنوي غزو اليمامة، ثمّ تتجه بعدها إلى غزو يثرب، غير أنّ مسلمة بتحالفه معها ردّها عن فكرة الغزو توافقًا مع منهجه في الانتشار عبر التأثير لا الفرض.

ومع هذا فقد أُجبِر في النهاية على خوض الحرب مع إسلام قريش، الممثل الآخر للحنيفية في شبه الجزيرة العربية.

هل هي حروب ردّةٍ حقًّا؟

تتحدّث كتب الأخبار الإسلامية عن ارتداد أكثر العرب بعد موت محمدٍ بن عبد الله في السنة الحادية عشرة للهجرة، كما أنها تتحدث عن ظهور أنبياء في صنعاء واليمامة وأماكن أخرى من شبه الجزيرة العربية، وتؤكد بعض الأخبار أنّ بعض هؤلاء الدعاة كانوا موجودين في حياة النبي محمدٍ كأنبياء، حتى أنه -أي محمّد- قد خطّط لاغتيال عبهلة العنسي أحد مدّعي النبوّة في صنعاء وتحقّق له ذلك قبل وفاته، دون أن يرد خبرٌ بخصوص موقف محمدٍ إزاء مسلمة الحنفي سِوى رسالةٍ يَتّهِمه فيها بالكذب، ولا أرى إلّا أنّ هذه الرسالة قد وُضِعَتْ عليه فيما بعد وأنَّها ليست مِن موقِف محمّدٍ تجاه مسلمة في شيء.

مسيلمة رحمن اليمامة...

الجزء الثالث والأخير:

منهجه، تحالفاته، حروبه ونهايته.

مصطفى حجّي

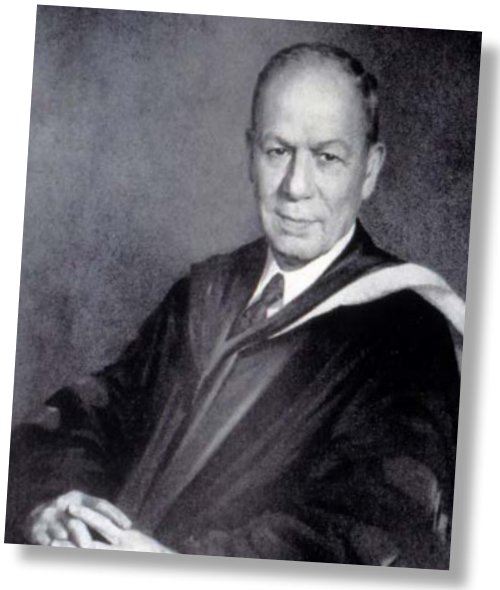

المؤرِّخ اللبناني (فيليب حتي) في كتابه «العرب تاريخٌ موجز» ينفي صفة الرِدّة عن الحروب التي تلت وفاة محمدٍ بن عبد الله قائلًا: «إن المقاطعات التي أسلمت في حياة النبي وخضعتْ لسلطته لم تتجاوز على ما نعتقد ثُلُث الجزيرة، وذلك لصعوبة المواصلات، ولعدم قيام الدعوة المنظّمة، ولقِصر المدّة الواقعة بين بعثة محمدٍ ووفاته. والحجاز نفسه لم يُسلِم بأكمله حتّى سنتين بعد وفاة محمد، فحروب الردة التي قام بها أبو بكرٍ إذن لم يكن المقصود منها إعادة المرتدين إلى حظيرة الإسلام -كما يزعم المؤرخون- بل كان الهدف منها هو إدخال العرب غير المسلمين في حظيرته»[15]، وهذا يعني تمامًا أنّ الجهاد لم يكن في سبيل الدعوة إلى الدين، وإبلاغ رسالته إلى العالمين، وما يكون لنا أن نفهم إلّا أنّه كان في سبيل المُلْك، ولتكوين الحكومة الإسلامية.

وقد سبق أن ناقشنا مسألة عدم دخول مسلمة الحنفي في الإسلام، وبالتالي لا يمكن اعتباره مرتدًّا، فكيف يرتد عن فكرةٍ ما لم يؤمن بها أصلًا؟!!!

وما كانت حروب أبي بكرٍ ضدّ مسيلمة إلّا إبقاءً لسلطة قريشٍ على الجزيرة العربية ومنعًا لانتشار سُلطة اليمامة على حساب سُلطة قريشٍ في الحجاز رغم التحالف والسِّلم المُقامان «غالِبًا» بين محمّدٍ ومسيلمة[16].
وعليه فما اتُّفِق على تسميتها بحروب الردة لم تكن في الحقيقة إلّا حروبَ نفوذٍ بين أطياف الحنيفية في شبه الجزيرة العربية استُخدِمتْ الإبادة فيها كوسيلةٍ للانتشار، وقد بدأها المسلمون تحت ذريعة لجوء بعض اتباعهم إلى اتِّباع أنبياء آخرين غير محمّدٍ بعد موته.

لم تكن حروبًا لإعادة المرتدّين لدين الإسلام، كانت حروب إبادة...

جاء في وصية أبي بكرٍ لخالدٍ بن الوليد وكان قد توَجّه لبني حنيفة بعد انتصاره على بني أسدٍ وغطفان: «إيّاك يا ابن الوليد ونخوة بني المغيرة، فإنّي عصيت فيك من لم أعصِه في شيءٍ قط، فانظر بني حنيفة، فإنّك لَمْ تلْقَ قومًا يشبهونهم، كلّهم عليك ولهم بلادٌ واسعة. فإذا قدمت فباشِر الأمر بنفسك، واستشر مَن معك مِن أصحاب رسول الله، واعرف لهم فضلهم. فإذا لقيت القوم فأعد للأمور أقرانها. فإن أظفرك الله بهم فإيّاك والإبقاء عليهم. أَجْهِزْ على جريحهم، واطلب مُدبِّرهم، واحمل أسيرهم على السيف، وهَوِّل فيهم القتل، وخوِّفهم بالنار. وإيّاك أنْ تخالف أمري. والسلام»[17]، وفي روايةٍ أُخرى «فإن أظفرك الله بهم، فلا تُبقِ منهم أحدًا»[18].

15- العرب تاريخٌ موجز: 198.
16- راجعوا الأجزاء السابقة من البحث.
17- مختصر سيرة الرسول: 186.
18- مختصر سيرة الرسول: 193.

مسيلمة رحمن اليمامة...

الجزء الثالث والأخير:

منهجه، تحالفاته، حروبه ونهايته.

مصطفى حجّي

ولإيضاح معنى قول أبي بكر: «وخوِّفهم بالنار»، نجد أنّ الشيخ محمدًا بن عبد الوهاب يورد نقلًا عن الواقدي أثناء حديثه عن حرب خالدٍ مع بني أسدٍ وعامر: «أنّ خالدًا جمع الأسرى في الحظائر، ثم أضرمها عليهم فاحترقوا أحياء»[19].

تؤكِّد كتب الأخبار أنّ المسلمين هم من ذهبوا بدءًا لمحاربة مسلمة الحنفي في اليمامة، وقد بيَّنّا فيما سلَف كيف أنّه ردّ (سجاح) عن فكرة غزو يثرب، وهذه إشارةٌ صريحةٌ إلى أنّ حروبه مع المسلمين كانت حروبًا دفاعيةً وليست هجوميةً، وهذا ناتجٌ عن اختلافٍ جذريٍ في منهج الانتشار لدى كلٍّ من دين مسلمة ودين محمّدٍ الذي يعتمد في انتشاره على السيف.

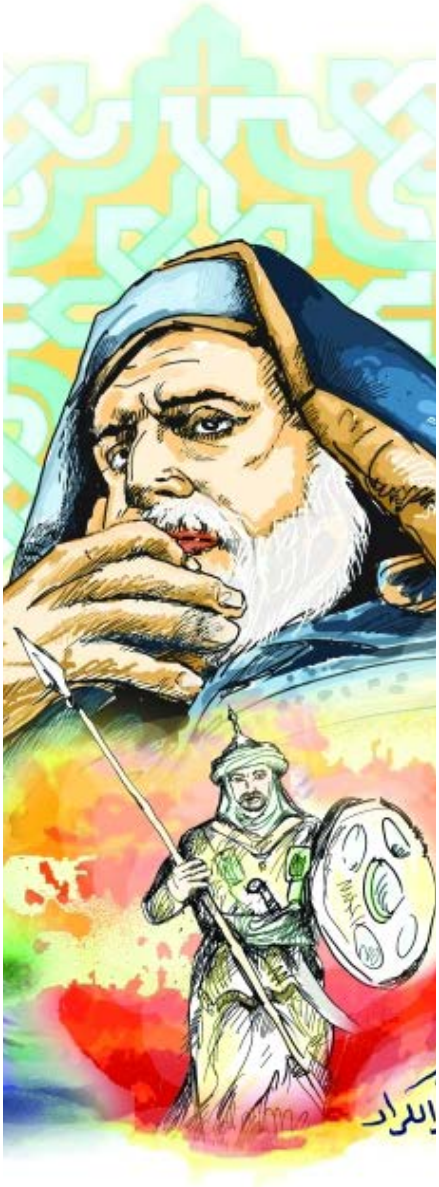

خاضَ مسلمة ثلاث معارك دفاعيةٍ مع جيوش المسلمين، انتصر في اثنتين منها، وقُتِل في الثالثة...

المعركة الأولى كان يقود جيش المسلمين فيها عكرمة بن أبي جهل، وعكرمة هذا لَمْ يُسلِم إلّا بعد فتح مكّة، أي إنّه كان ممن فُرِض عليهم الإسلام فرضًا وقد دخل الإسلام رهبةً.

المعركة الثانية كان جيش المسلمين تحت إمرة شرحبيل بن حسنة أحد كَتَبَة وحي محمّد. انتهت المعركة بهزيمة المسلمين كما المعركة الأولى، الأمر الذي نفخ روح الثقة في بني حنيفة.

أُجبِر مسلمة في النهاية على خوض معركةٍ دفاعيةٍ ثالثةٍ في منطقة «عقرباء» انتهت بمقتله، وكان يقود المسلمين حينها خالدٌ بن الوليد، أحد الذين دخلوا الإسلام في السنة السابعة للهجرة، أي بعد أن أصبحت كفّة محمّدٍ أكثر ثقلًا وظهورًا على حساب قريش.

أظهَرَت الحرب الثالثة شجاعة مسلمة وقومه، فقد اتّسمت بالكر والفر، وقد طالت المعركة ليومين، وتذكُر كتب الأخبار أنّ المسلمين قد قَتَلوا قرابة العشرين ألف رجلٍ من جيش مسلمة قبل مقتله، ومع ذلك كان لا يزال جيش مسلمة صامدًا، وقد أيقن خالدٌ أن الأمر لن يُحسَم إلّا بقتل مسيلمة[20].

19- مختصر سيرة الرسول: 180.

20- تاريخ الرسل والملوك: أحداث سنة 11.

مسيلمة رحمن اليمامة...

الجزء الثالث والأخير:

منهجه، تحالفاته، حروبه ونهايته.

مصطفى حجّي

مقتل مسلمة...

استمر القتال في المعركة الثالثة طيلة نهارين بين كَرٍّ وفَرٍّ حتى استطاعت كَفّة المسلمين أن تميل لصالحهم في الساعات الأخيرة، وقد كانت مذبحةً في بستان يعود لمسلمة.

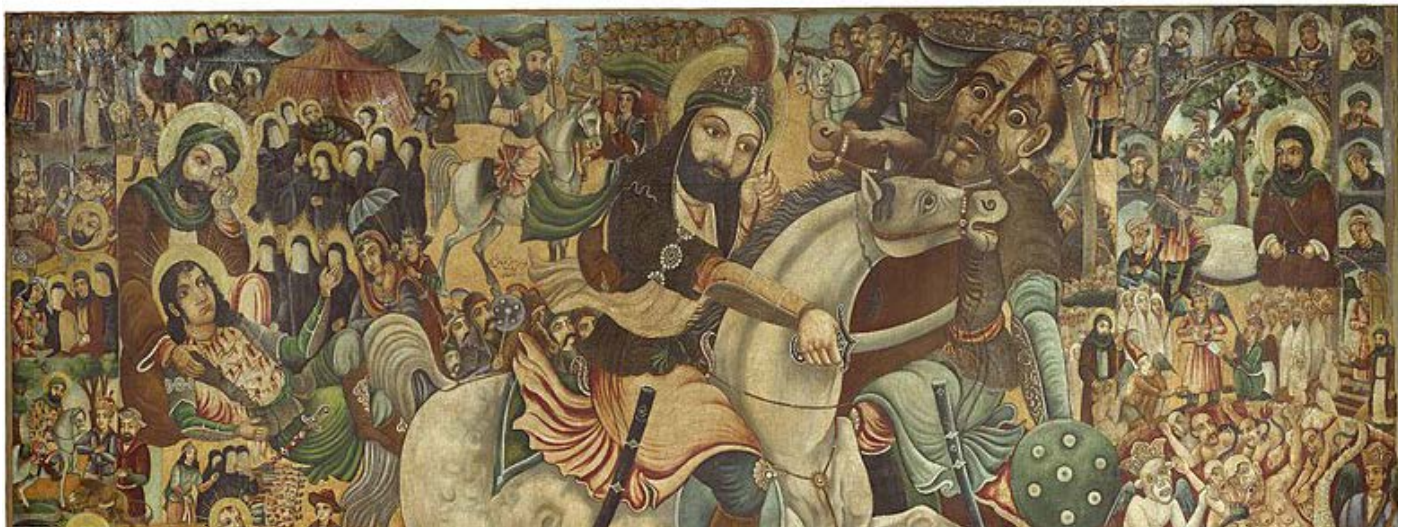

ذكر الواقدي أن وحشيًا خادم جبيرٍ بن مطعمٍ بن عديٍ رأى مسلمة وقد ألجأه المسلمون إلى جانب الحديقة فقصده، وقصده أيضًا رجلٌ من الأنصار يُقال له عبد الله بن زيد، فنظر إليهما مسلمة وقد قصداه، فحمل عليهما، فبدره الأنصاري بضربةٍ على رأسه، فأوهنه، ورمى وحشيٌ بحربته، فطعنته الحربة في خاصرته، فسقط عن فرسه قتيلًا[21]، وفي روايةٍ أُخرى على لسان وحشيٍ أنه قال: خرجت مع الناس فإذا رجلٌ قائمٌ كأنه جملٌ أورق، ثائر الراس، فرميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه، وضربه رجلٌ من الأنصار على هامته[22].

وقد أوشك بنو حنيفة على الانقراض استبسالًا بالدفاع عن مسلمة ودينه، وقد ورد خبرٌ أنه عندما انحسر القتال في الحديقة صاح رجلٌ من بني حنيفة قائلًا: «ويحكم يا معشر بني حنيفة، اعلموا أنّ هذه الحديقة حديقة الموت، فقاتِلوا أبدًا حتّى تموتوا كِرامًا»[23].

(وهنا ينبغي الإشارة إلى أنّ انتصار المسلمين في حربهم ضدّ مسلمة الحنفي هو الذي رسّخ الدين الإسلامي إلى يومنا هذا باعتباره الممثِّل الوحيد للحنيفية، ولو أن الأمر كان لمسلمة الحنفي لسار تاريخ العرب والحنيفية في مجرًى آخر أقل ما يُقال عنه أنّه أقلُّ عنفًا ودمويةً).

21- الردة: 206.
22- السيرة الحلبية: 23/3.
23- كتاب الردة: 202.

مسيلمة رحمن اليمامة...

الجزء الثالث والأخير:

منهجه، تحالفاته، حروبه ونهايته.

مصطفى حجّي

وأخيرًا... هنالك نقطةٌ عليَّ أنْ أذكرها، حوارٌ في ساحة المعركة دار بين رجلٍ جريحٍ من بني حنيفة وبين قائدٍ مسلمٍ بعد موت مسلمة، حوارٌ يُوَضِّح لنا صورة مسلمة لدى قومِه ويُظْهِر لنا مدى تأثيره على قومه وقوّة تشبُّث بني حنيفة بدينه...

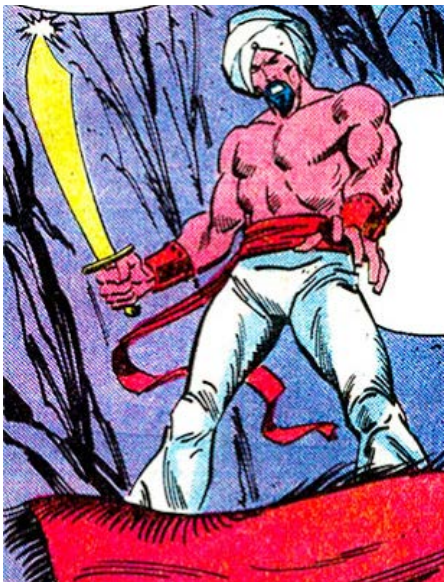

يروي الشيخ محمدٌ عبد الوهاب عن أبي سعيد الخدري قال:

«دخلنا الحديقة، حين جاء وقت الظهر، واشتدّ القتل، فأمر خالد المؤذِّن، فأذّن على جدار الحديقة بالظهر، والقوم مُقبِلون على القتل، حتّى انقطعت الحرب بعد العصر، فصلّى بنا خالدٌ الظهر والعصر، ثم بَعثَ السقاة يطوفون على القتلى، فطفت معهم، فمررت بعامرٍ بن ثابتٍ وإلى جنبِه رجلٌ مِنْ بني حنيفة به جِراح، فسقيت عامرًا، فقال الحنفي: اسقني فدًى لكَ أبي وأمي. فقلت: لا، ولا كرامة، ولكن أُجهِز عليك. فقال الحنفي: أحسنت، أسألك مسالةً لا شيء عليك فيها. قلت: ما هي؟ قال: أبو ثمامة «مسيلمة»، ما فَعل؟ قلت: والله قُتِل. فقال: نبيٌّ ضيّعه قومه»[24].

هذه الحادثة يمكن قراءتها من جهاتٍ عديدة، لكن ما يهمني التركيز عليه هنا هو الشخص الحنفي الذي يموت وهو على يقينٍ من أنّ مسلمة نبي، وأنّه على الحق.

الحنفي ينتظر الشهادة على يد المسلم، إن لم يقلها صراحةً فقد قال ردًّا على جواب الخدري ـ لكن أُجهِز عليك - ثم سأل عن مسلمة فلمَّا علِمَ بموته قال: «نبيٌّ ضيَّعه قومه».

أريد أن أُكَثِّف التركيز على الحوار مرةً أُخرى...

إجابة أبي سعيدٍ الخدري:

- كلا ولا كرامة ، ولكن أُجهِز عليك.

أقول كما لو أنّ هذه الإجابة قد أكّدت للحنفي أنّ مسلمة كان على الحق، لِذا قال:

- أحسنت.

أي تأكّد للرجُل الحنفي يقينه الذاتي بدين مسيلمة بحرمانه من الماء والإجهاز عليه.

النهاية.

24- مختصر سيرة الرسول: 192.

http://www.ahewar.org

الحوار المتمدن

الموقع الرئيسي لمؤسسة الحوار المتمدن
يسارية , علمانية , ديمقراطية
" من أجل مجتمع مدني علماني ديمقراطي
حديث يضمن الحرية والعدالة الاجتماعية للجميع"

كاريكاتور

زياد عبد الرحمن

نعم اعتمد المتدينون كثيراً على الصنم السماوي ليسيطروا على المجتمع ويُرعبوا الجانب الانثوي الجميل منه ويفرضوا ذكورية خرقاء

Yusuf Askar

خطر لي سؤال من وحي الكاريكاتير وقد لا يتعلق في مضمونه،
لماذا لا يكلم الله النساء؟

مجلة الملحدين العرب

مجلة شهرية بجهود فردية تصدر في الثاني عشر من كل شهر

The Arab Atheists Magazine is a digital publication produced by volunteers and committed to promoting the thought and writings of atheists of various persuasions with complete freedom. The Magazine does not adopt or endorse any form of political ideology or affiliation.

Contributors bear the full responsibility of the content, illustrations and topics they provide insofar as it covers copyright and issues of intellectual property.

Express permission to publish in the Magazine is provided by contributors, whether they are members of the Arab Atheists Magazine Group or of other atheists and non-religious contributors.

The Magazine does not publish material that is unethical or that incites racism or bigotry.

The Editorial Board reserves the right to republish content originally published on the Magazine's Facebook group, as publishing there implicitly contains consent for republication in the Magazine.

موقع المدونة الخاصة بنا للأرشفة على الإنترنت:
www.aamagazine.blogspot.com
البريد الإلكتروني
el7ad.organisation@gmail.com

ARAB ATHEIST BROADCASTING
قناة الملحدين بالعربي